وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للبنات
قسم الجغرافيا

محاضرات
في تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر
المرحلة الثالثة/ قسم الجغرافيا

أستاذ المادة

م.د إنعام عبد العظيم شاهين

١٤٤٦هـ

٢٠٢٤ م

مفردات المادة العلمية:

١) العثمانيون– نشأتهم وتوسعهم في الوطن العربي:
٢) خصائص الحكم العثماني في الوطن العربي: ١) التنظيم السياسي والاداري٢) المؤسسة العسكرية العثمانية.
٣) السيطرة العثمانية على الشام ومصر والحجاز واليمن.
٤) السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي وأسباب انهيار البرتغاليين.
٥) السيطرة العثمانية على الخليج العربي.
٦) السيطرة العثمانية على اقطار المغرب العربي.
٧) مقاومة الدول العربية للحكم العثماني.
٨) التنظيمات العثمانية في الوطن العربي.
٩) حكم المماليك في العراق.
١٠) اتجاهات حركة النهضة الحديثة في المشرق العربي.
أ– النهضة الفكرية العربية ب– نشوء الحركة العربية القومية.
١١) إثر الحرب العالمية الأولى على مستقبل العرب.
١٢) الثورة العربية الكبرى (نبذة تاريخية).
تقييم الثورة العربية الكبرى
١٣) اتفاقية سايكس بيكو وأثرها في مستقبل العرب.
١٤) الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦.
١٥) العرب ومؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩.
أ– عرض القضية العربية أمام المؤتمر ب – الموقف العربي تجاه الأطماع الفرنسية والبريطانية ج – لجنة كنج – كرين.
١٦) مؤتمر سان ريمو ونظام الانتداب.
أ. فرض الانتداب على اقطار المشرق العربي ب. المواجهة العربية لقرارات سان ريمو.
١٧) الاحتلال البريطاني للعراق أسبابه وطبيعة الإدارة البريطانية ١٩٤١–١٩٢٠.

* اسباب الاحتلال البريطاني للعراق.

*الادارة البريطانية والمقاومة الشعبية.

١٨) الحركة الوطنية والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠.

نتائج ثورة العشرين.

١٩) قيام الحكم الملكي وتأسيس الدولة العراقية الحديثة.

المحاضرة الأولى: العثمانيون- نشأتهم وتوسعهم في الوطن العربي:

يختلف المؤرخون في أصل العثمانيين وسبب ذلك يرجع الى عاملين أساسيين هما: الأول في فقدان المصادر التي تعود الى تلك الفترة والثاني كثرة ما علق بهذه المسألة من اساطير وخرافات لذلك فقد تعددت الروايات في هذا الشأن.

ومن ابرز هذه الروايات: ان جد العثمانيون الأعلى وهو (سليمان شاه) ينتمي الى اسرة تركمانية اسمها (قابي او كابي) كان يحكم منطقة (ماهان) شمال شرق ايران، وقد فر من امام الزحف المغولي في مطلع القرن الثالث عشر متجهاً نحو الاناضول الا انه غرق اثناء عبوره الفرات فانقسمت اسرته الى قسمين: قسم فضل العودة من حيث اتى اما القسم الاخر فكان بقيادة (ارطغرل) الذي قرر الاستمرار في الاتجاه نحو الاناضول وتذكر الرواية ان ارطغرل شاهد في طريقة جيشين مشتبكين وهما جيش مغولي والأخر جيش سلطان قونية السلجوقي (علا الدين الأول ١٢١٩-١٢٣٥) فساند جيش الأخير والذي انتصر بفضل تلك المساعدة فكافأه علاء الدين على مساعدته بأقطاعه بقعة من دولته في غرب الاناضول وهي سهول سكود على الحدود البزنطية.

يعد أرطغرل مؤسس الدول العثمانية، فبعد دحر القوات المغولية بقيادة (كتاي بنً جنكيز خان) بعد أن أنتصر للسلطان السلجوقي (علاء الدين الأول) الذي كان ضعيفا أمام القوات البيزنطية، الامر الذي أدى بالسلطان السلجوقي بمكافأة أرطغرل بإقتطاعه جزء من دولته في غرب الاناضول وهي سهول سكود على الحدود البيزنطية، ولقبه السلطان السلجوقي بـ (أوج بكى) أي: حارس الحدود.

بعد وفاة أرطغرل عام (١٢٨٨م) حل عثمان الابن الاكبر بين اولاده مكانه، ولقبه السلطان السلجوقي لقب (بك)، كمكافأة له لفتحه قلعة (قره حصار) عام (١٢٨٩م) ، وأقتطع له العديد من الأراضي.

يذكر أن عثمان له (٥٢) جداً و ينتهي نسبه الى نبي الله نوح (عليه السلام)، ومن أجداده جد أسمه (أوغورخان) وهو من قوم أسمهم الغز : وهم قبائل تركية مشهورة بالقوة في أسيا الغربية في القرن العاشر، وهو وثنيون، لقد كان لقبائل الغز دوراً كبيراً في تنامي قوة العثمانين آنذاك، وهناك حقيقة مفادها بأن العثمانين قبائل بدوية دخلوا مع جدهم الاعلى الى الاناضول في القرن الحادي عشر سنة (١٠٧١م) مع قبائل تركمانية في أعقاب معركة (مالذ كرد) التي حدثت بين السالجقة يمثلهم (ألب أرسلان) والبيزنطيين

بقيادة (رومان الرابع) والتي انتصر فيها السلاجقة وأسرو قائدهم، وارتبط العثمانين بالسلاجقة بشكل أو بأخر بعد ذلك.

التوسع العثماني في الوطن العربي:

استمر خلفاء بني عثمان بالتوسع مستغلين أوضاع بيزنطة التي انشغلت بالكثير من القلاقل والفتن الداخلية في العاصمة وفي البلقان وبالصدام المستمر مع اعدائهم من امارات الثغور الإسلامية الأخرى الواقعة على حدودها أمثال كرميان وقره سي لذا لم تستطع التحرك ضد العثمانيين الذين استولوا على ادرنة وجعلوها عاصمة لهم فضلاً عن تراقيا ومقدونيا وبلغاريا وبلاد الصرب واستمر التوسع العثماني في اوربا والذي توج في ٢٩ أيار ١٤٥٣ بسقوط القسطنطينية بأيديهم في عهد السلطان محمد الثاني المعروف بالفاتح (١٤٥١-١٤٨١). واتخذوها عاصمة لهم عرفت باسم (إستانبول) أو (أسلا مبول) أي: مدينة السلام بعد أن كانت عاصمة الأمبراطورية البيزنطينية لمدة ألف عام.

وفي عهد السلطان سليم الأول الذي تولى الحكم عام ١٥١٢م على إثر خلع ابيه بايزيد الثاني حدث انقلاب في استراتيجية الدولة العثمانية اذ توقف زحفها على حساب الغرب الأوربي او كاد يتوقف واتجهت نحو الوطن العربي ومهما تعددت الآراء في تقليل الظاهرة فأن هناك أسباب لهذا التوسع وهي:

١) أن موقف العثمانيين في اوربا أصبح منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي موقفاً دفاعياً أكثر منه هجومياً فكان لابد ان يبحثوا عن ميادين جديدة للتوسع.

٢) ظهور الدولة الصفوية في إيران: أذ يعتقد فريق من المؤرخين ان الغزو العثماني للأقطار العربية ما هو الا مرحلة من مراحل الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بعد السيطرة على منطقة الشرق الأدنى وكذلك قيام الدولة الصفوية والمماليك بإيواء اخوة سليم الأول الذين كانوا يدعون بحقهم بالعرش العثماني فقاموا بعدة محاولات للسيطرة على السلطة والقضاء على سليم الأول.

٣) الغزو الأوربي للوطن العربي: شهدت بداية العصور الحديثة في القرنيين الخامس عشر والسادس حركة التوسع الأوربي والتي شملت مختلف مناطق العالم وقد تركز الصراع بين العرب والاوربيين في منطقتين الأولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل

الافريقي المتمثل بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي والثاني في المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

ويذكر المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Toynbee Arnold إن ظهور الدولة الصفوية في إيران هي التي جذبت الدولة العثمانية الى الوطن العربي، وأن الغزو العثماني للوطن العربي هو مرحلة من مراحل الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بغية السيطرة على منطقة الشرق الأدنى.

المحاضرة الثانية: خصائص الحكم العثماني في الوطن العربي:

اهتم العثمانيون منذ بدء سيطرتهم على الوطن العربي في القرن السادس عشر والتي استمرت قرابة الأربع قرون بتثبيت دعائم حكمهم وتنظيم الإدارة والمجتمع مستندين في ذلك الى مصدريين أساسيين. أولهما: النظم التي كانت متبعة في مختلف انحاء الدولة العثمانية.

وثانيهما: النظم التي كانت سائدة في الأقطار العربية قبل احتلالهم لها والتنظيمات العثمانية في المجالات هما:

١. التنظيم السياسي والإداري: أ) النظام السياسي والإداري ب- النظام الاقتصادي والاجتماعي.

٢. المؤسسة العسكرية العثمانية: أ) القوات الاقطاعية ب) القوات الإنكشارية.

التنظيم السياسي والإداري

أ) النظام السياسي والاداري

ان نظام الإدارة العثمانية في البلاد العربية التي سيطرت عليها الدولة العثمانية زهاء الأربعة قرون كان نظاماً مركزيا حيث قسم العثمانيون البلاد العربية التي خضعت لهم الى ولايات صغيرة كي يسهل السيطرة عليها. بلغ عددها في القرن السابع عشر الميلادي (١٤) ولاية عربية من بين (٣٢) ولاية كانت تتألف منها الدولة العثمانية.

كان السلطان العثماني اعلى مؤسسة في الدولة العثمانية وكانت سلطاته مستمدة من قوة الجيش الإنكشاري.

واهم مؤسسات السلطنة هو البلاط وكان أعضاؤه يتمتعون بامتيازات كبيرة كان للنساء دور كبير في البلاط سيما ابان ضعف الدولة العثمانية حيث كانت ام السلطان او زوجته تلغي بعض القرارات التي يتخذها السلطان هذه الأمور أدت بالتأكيد الى ضعف الدولة وانهيارها.

وخلال حقبة الحكم العثماني للوطن العربي حافظ العثمانيون على النظام الاقطاعي كما حافظوا على النظم الإدارية التي كان معمولاً بها في انحاء الوطن العربي قبل سيطرتهم عليه فضلاً عن النظم الإدارية التي كانت تعمل بها الدولة العثمانية وبصورة عامة فقط

حافظ العثمانيون على الشكل الإداري القديم حيث لم تكن للدولة العثمانية الرغبة في احداث أي تغير جوهري على البلاد التي سيطروا عليها.

وقد قسم العثمانيون البلدان التي سيطروا عليها، الى ولايات اطلقوا عليها اسم (إيالات) وكانت كل إيالة منفصلة عن الاخرى ادارياً وقضائياً ومالياً والايالة هي اكبر وحدة ادارية، ويلي الايالة في التقسيم الاداري (السنجق)،وبذلك كانت الايالة تتكون من عدد من السناجق، اما السناجق فقد كان يتكون من عدد من الاقضية تتراوح بين خمسة الى عشر اقضية، وكان القضاء يشمل عدداً من النواحي التي هي اصغر ادارياً من القضاء، والنواحي عادة تشمل عدد القرى وقد كانت مساحة "الايالة" غير ثابته، وكانت تتغير باستمرار تبعاً لقوة ونفوذ الوالي المعين في الايالة، فعلى سبيل المثال قسم العثمانيون ولاية حلب الى ثلاث ولايات هي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية طرابلس، وظل هذا التقسيم قائماً حتى عام ١٦٦٠ م عندما اضيفت اليه ولاية صيدا بعد ثورة الامير فخر الدين المعني الثاني واستمر هذا الوضع حتى عام ١٨٤٠ م، ولكنها عادت مرة أخرى الى نظام الولايات الثلاث وأصبحت ولاية طرابلس سنجقاً تابعاً لولاية صيدا وبعد صدور قانون الولايات عام ١٨٦٤ والقانون الذي اعقبه عام ١٨٧١ قسمت بلاد الشام الى ولايتين هما ولاية سوريا التي اتسعت لتضم أجزاء من ولايتي طرابلس وصيدا وولاية حلب وقد اتسعت لتضم أجزاء من الجزيرة والاناضول.

اتبع العثمانيون تنظيمًا بسيطًا لدولتهم، حيث ابتكروا جهازين إداريين للحكم: جهاز إداري مركزي وجهاز إداري محلي، وكان تُتبع هرميّة معينة في كل جهاز منها، وكان السلطان بوصفه حاكم البلاد، وخليفة المسلمين، يقبع على قمّة هذا الهرم. أخذ العثمانيون بالكثير من العادات العربية والفارسية والبيزنطية في تنظيمهم للأجهزة الإدارية، ودمجوا معها بعض العادات التركية القديمة، وصهروها كلها في بوتقة واحدة مميزة، مما جعل الدولة العثمانية تظهر بمظهر الوريث الشرعي لجميع تلك الحضارات التي سبقتها.

كان الجهاز الإداري المركزي يتكوّن من السلطان وحاشيته، وهؤلاء جميعًا يُعرفون باسم "آل عثمان"، ويُعاونهم في الحكم ما يُعرف باسم "الديوان"، وهو جهاز إداري مضمّن يتكوّن من الصدر الأعظم وأفراد الطبقة الحاكمة. ومنصب الصدر الأعظم هو أعلى مناصب الدولة بعد منصب السلطان، وكان من يتبوأ هذا المنصب يلعب دور رئيس الوزراء ورئيس الديوان، ومن صلاحياته تعيين قادة الجيش وجميع أصحاب المناصب الإدارية المركزية أو الإقليمية. أما الطبقة الحاكمة فكان يُشار إلى افرادها باسم "العساكرة"

أو "العسكر"، ومفردها "عسكري"، وهي تشمل: الدفتر دار، أي الشخص المُكلف بالشؤون المالية وحساب موارد الدولة ومصاريفها؛ الكاهية باشا، وهو الموظف العسكري الذي يتكلف بتسير الشؤون العسكرية للدولة؛ الشاويش باشا (بالتركية العثمانية: چاويش پاشا؛ نقحرة: تشاويش پاشا) وهو موظف ينفذ الأحكام القضائية التي يصدرها القضاة؛ رئيس الكتّاب، وشيخ الإسلام وطبقة العلماء. كان السلطان العثماني هو صاحب القرار النهائي الفاصل في أغلب الأحيان، وقد استمر الأمر على هذا المنوال حتى عهد السلطان مراد الرابع، عندما ازداد نفوذ الديوان وأخذ السلاطين لا يشاركون في جلساته أكثر فأكثر. جرت العادة منذ العهد العثماني على إطلاق تسمية "الباب العالي" على الحكومة العثمانية، وهي تسمية تعني في الأصل قصر السلطان، ومع مرور الوقت أصبح المقصود بالباب العالي: أعلى سلطة تتجسد في قوة السلطان المستمدة من قوة جيشه.

ب_ النظام الاقتصادي والاجتماعي:

كان النظام السائد هو نظام الاقطاع ومنحت هذه الاقطاعات الى الى كبار الموظفين وقادة الجيش وافراد العائلة الحاكمة والمقربين منهم، ومنح حق جمع الضرائب الى اشخاص عرفوا بالملتزمين وكانت مدة الالتزام في الأساس سنة واحدة ويشترط على الملتزم الا يحصل من الضرائب اكثر من النسية المحددة لكن الملتزمين كانوا يستغلون الفلاحين ويجبون منهم اكثر من الضرائب المفروضة عليهم مما اساءوا الى اقتصاد الريف بصورة عامة وكلما ضعفت سلطة الدولة قويت سلطة الملتزمين فاحتكر كثير منهم الالتزام لسنوات بل اورثه قسم منهم الى أبنائهم من بعدهم وتمتع اكثرهم بسلطة سياسية مثال ظاهر العمر في فلسطين في القرن الثامن عشر الميلادي.

لقد مارس العثمانيون سياسة افتقار شديدة وإدارة لموافق الإنتاج ووسائل المواصلات وكان من ابرز واجبات الإدارة العثمانية تثبيت السلطة وجباية الضرائب من غير ان تقدم الدولة للمواطن اية خدمات فلم تول السلطات العثمانية التعليم اهتماماً كبيراً وظلت انظمة التعليم لا تقوم على اكتساب معلومات جديدة وانما اتقان المعلومات التي ورثها الخلف من السلف وعندما اقترب الحكم العثماني من نهايته لم تكن في المدارس الرسمية الابتدائية سوى عدد ضيل من التلاميذ فضلاً عن ان التعليم في العهد العثماني لم يكن يلائم

الحاجات الملحة او مقتضيات التطور واقتصرت الخدمات التعليمية على أبناء المترفين وحرم منها أبناء الشعب عامة.

كما سمحت الحكومة العثمانية لنظام الطوائف الحرفية بالاستمرار فكان ان حافظت الحرف على بقائها وصار الإنتاج الحرفي يواجه منافسه البضائع الأجنبية التي اخذت تتدفق على الولايات العربية نتيجة الاتفاقات التجارية التي عقدت بين الدولة العثمانية والدول الاوربية فسمحت تلك الاتفاقات بدخول راس المال الأجنبي وغزن الأسواق العربية فأخلت بتجارتها الوطنية ولم يظهر الأثر السيء لهذه الاتفاقات الا بعد ان ضعفت الدولة العثمانية ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي وبموجب تلك الاتفاقيات حصل الاوربيون على امتيازات كثيرة ومنها الامتيازات التي منحت الدولة الاوربية حق المحاكمة لرعاياها في الأراضي العثمانية وفق القوانين الاوربية ولقد فسرت فرنسا مثلاً هذه الامتيازات بان لها الحق في حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية، اما بريطانيا فقد ادعت من حقها حماية البروتستانت في حين زعمت روسيا ان من حقها حماية الأرثوذكس وهكذا استخدمت الدول الاوربية الطائفية سلاحاً للتغلغل في البلدان العربية كما استفادت من ذلك في استعداد طائفة ضد أخرى وقد حدث مثل هذا في لبنان سنتي (١٨٤٠-١٨٦٠).

لم يستطيع العثمانيون فهم دور الشعب العربي ولا مركز الوطن العربي الحضاري والاستراتيجي (السوقي) فقد عزلوا الولايات العربية من كل نشاط بل وقفوا ضد كل محاولة ترمي الى إعادة الحيوية والنشاط للبلدان العربية تجارياً وثقافياً. وقد اسهم هذا الإهمال في مساعدة الاوربيين على الانقضاض على الوطن العربي خاصة وان اوربا كانت تعيش مرحلة ثانية من ظهور الاستعمار وهي المرحلة الصناعية التي أعقبت الازدهار التجاري نتيجة الاستكشافات التجارية وتحول المجتمع الاقطاعي الى مجتمع تجاري وصناعي وفي هذه المرحلة التي امتدت من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي اخذ الاوربيون يبحثون عن المستعمرات لتكون مصدراً للمواد الخام وسوقاً لبضائعهم المصنعة ولما كان الوطن العربي يزخر بالثروات فقد اصبح محط انظار الدولة الاستعمارية.

المحاضرة الثالثة: المؤسسة العسكرية العثمانية

إن الدولة العثمانية تميزت منذ نشأتها الأولى بالطابع العسكري الصرف، ولقد كان سر اهتمامها بالجيش ووقوعها على حدود الامبراطورية التي كانت تعاني من سكرات الموت، كما امدتهم النظرة الإسلامية في الجهاد تلك التي تقسم العالم الى دار حرب "دار الكفر" ودار السلام "دار الإسلام" بالتبرير النظري لتوسعاتهم في الأقاليم المسيحية البيزنطية.

ولقد رفعت توسعاتهم تلك في دار الحرب من مكانتهم في نظر المسلمين الامر الذي قوى تيار انضمام المتطوعين إليهم ولم يكن العثمانيون في بدء امرهم مهتمين بوجود جماعة متخصصة بأمور القتال بل ان امراءهم الأوائل تمكنوا من الاستفادة من تشكيلات العثانين العشائرية في احراز الانتصارات.

وفي عهد السلطان عثمان الأول تطور الامر فكانت هناك فرقة من الفرسان تعرف باسم "اقنجي" سرعان ما يعود افرادها الى بيوتهم حال انتهاء الحرب، هذا بالإضافة الى ان عثمان كان يرسل المنادين الى القرى لدعوة من يرغب في القتال من أي جهة ومن أي جنسية، وكثيراً من الناس كان يهرع الى الانضمام طمعاً في الاجر والاجرة.

اما السلطان اورخان (١٣٢٦-١٣٥٩) فقد أنشأ فرقة مشاة عرفت باسم البادة او البابا وكانت تستلم اجوراً وتسكن الثكنات في بادئ الامر ولكن فيما بعد اتخذت هذه القوات طابعاً اقطاعياً بين منح افرادها اقطاعات لقاء خدمتهم وذلك لعدم قدرة السلاطين على توفير المواد الضرورية لإعالة هذه القوات الكبيرة، **فما هي القوات الاقطاعية وكيف نشات؟**

أ. القوات الاقطاعية:

تبنت الدولة العثمانية منذ فترة مبكرة من قيامها النظام الاقطاعي، وقد هدف العثمانيون من هذا النظام الى تحقيق امرين اثنين، أولهما: تأمين الرزق لفئات متعددة من الجند بدلاً من تخصيص رواتب لهم، فقد كانوا يجهزون أنفسهم ويتقدمون الى ميادين القتال، اما الامر الثاني، فهو ان هذا النظام ساعدهم على تهيئة ما يحتاجونه من الجند في حركات التوسع العثمانية، وقد شكلت قوات الفرسان الاقطاعية نواة الجيش العثماني.

قامت النظرة العثمانية في مجال ملكية الأرض على الأسس الاتية:

١) الأرض المفتوحة ملك للدولة ولي جميع الأراضي، اذ ان هناك أراضي مملوكة للأفراد في الدولة الإسلامية.

٢) ليس للسلطان ان يكون مالكاً وانما له حق الاشراف بحكم وظيفته على رأس الدولة.

٣) من هنا له حق الاقطاع كما تقرره مصلحته التي تفترض ان أكون متطابقة مع مصلحة الدولة.

٤) اعتبر العثمانيون كافة الأراضي مفتوحة بما فيها أراضي الأقطار العربية وجرى اخضاعها الاقطاعي وفقاً لمقتضيات الحاجة ولم تستثن من ذلك غير الولايات البعيدة ذات الطابع القبلي حيث لم تسمح ظروفها بتطبيق النظام الاقطاعي فيها.

وهكذا اقطع السلطان الأراضي للقادة العسكريين والاداريين وهؤلاء هم الذين عرفوا بأصحاب التيمار والزعامت والخاص. وان يكونوا على استعداد للسير تحت راية السلطان في اية لحظة وان يتولوا اعداد عدد من الخيالة والفرسان المحاربين.

عمد العثمانيون على تطبيق قواعدهم في الفتح، وكانت شائعة آنذاك، وهي إحصاء السكان ومسح الأراضي التي يحتلونها وتقسيمها الى مقاطعات بعضها كبيرة وبعضها صغيرة، ويمنحون المقاطعات الصغيرة الى الجنود المحاربين والكبيرة الى الامراء والقواد وذلك بعد تخصيص عدد من المقاطعات الكبيرة للسلطان ويسجلون ذلك في سجلات تسمى دفاتر ويحتفظ بها عند الدفتر دار.

ان اقطاع الأرض لم يكن يعني تمليكها، بل تفويض صاحبها حق جباية الاعشار والرسوم والضرائب المترتبة عليها، فكانت تبقى بايدي زراعها على ات يدفعوا الضرائب التي تقرض عليها الى التيمارجي والزعيم، او من يوكله لتسلمها.

تندرج تلك الاقطاعات تحت اسم "ديريلكات" جمع ديرلك بمعنى رزق وتنصف الى ثلاثة انواع:

أ. التيمار: وهي مقاطعات زراعية يتصرف بايرادها شخص يسمى تيمارجي، ومساحتها تتراوح بين ٣٠٠-٥—فدان وتدر ستوياً دخلاً يترواح بين ٣٠٠٠-١٠٠٠٠ اقجة.

ب. زعامت: وكانت الخدمة الشخصية هي التي تؤهل البكوات والزعماء للحصول على اقطاع أكبر من التيمار، ويسمى زعامت، تزيد مساحته عن ٥٠٠ فدان، ويدر دخلاً يترواح بين عشرة الاف اقجة الى ١٠٠٠٠٠ اقجة.

ت. اما الاقطاعات الكبيرة التي يزيد واردها على ١٠٠٠٠٠ اقجة تسمى (خاصلر او خواصي أي خاص) وهي في الغالب تقطع للولاة وامراء السناجق وهناك في الولايات أراض خاصة للسلطان باسم (حواصي همايون).

ولقد لعبت الخيالة (السباهية) التي تكونت بهذة الصورة، في مختلف انحاء الدولة دوراً مهماً في حروب التوسع العثماني، وكان عدد فرسان التيمار او الزعامت مثلاً يزداد كلما اتسعت الدولة العثمانية، لذلك وصف الفرسان الاقطاعيون بأنهم القوة الجسيمة للدولة، فقد بلغ عددهم ابان ازدهار هذا الأسلوب ٢٠٠٠٠٠ خيال، ومما لا شك فيه ان أكثر الانتصارات التي حققها العثمانيون يمكن ان تعزى الى هذا الأسلوب الذي هيأ للدولة جيشاً كامل الاستعداد دائماً.

وبعد ذلك لم يعد لسلاح الفرسان تلك المكانة التي كانت له وتفوق عليه المشاة والمدفعية كما ان الفارس الذي كان يعيش في بادئ الامر ضمن اقطاعه صار يتركه في عهدة الملتزم في مقابل مبلغ من المال يدفعه الملتزم سنوياً له وبدأ نظام الالتزام الذي لم يقتصر على المجالات الاقطاعية العسكرية وانما شمل المجالات الأخرى فشيخ العشيرة يلتزم ضرائب عشيرته، وقد يلتزم اقليماً كاملاً باسره كما كام رئيس الطائفة يلتزم الضرائب المفروضة على طائفاه، ومع ان هذا التظام خفف من أعباء الدولة في جمع الضرائب لكنه أدى الى ظهور طبقة من الملتزمين يستغلون الناس ويحولون بينهم وبين الحكومة الامر الذي أدى الى شيوع ظاهرة الظلم والاستغلال.

ب. القوات الإنكشارية:

أما النوع الثاني من القوت التي اعتمد عليها العثمانيون في إدارة عملياتهم التوسعية فهي القوات الانكشارية ، وقد ظهرت الحاجة إلى هذا النوع من القوات بعد ان فقدت القوات الإقطاعية أهميتها وصار من الصعب جدا الاعتماد عليها في أماكن بعيدة عن مواضع إقطاعاتها ومما ساعد العثمانيين على إنشاء الجيش الجديد " يني جرى) ثم طور بعدئذ يكون الانكشارية ، تلك الاعداد الكبيرة من الأسرى المسيحيين الذين حصلوا عليها خلال عمليات توسعهم في أوربا ، فقد كانت العادة المتبعة هي تخصيص خمس الأسرى للدولة وتحويلهم إلى جنود يعملون في بناء الإمبراطورية .

اختلف المؤرخون في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه فرق الانكشارية ونكاد نلتمس آثار نظريتين في هذا المجال ترجع أولاهما ذلك إلى زمن أورخان ١٣٢٦ – ١٣٥٩ وتشير إلى عهد مراد الأول ١٣٥٩ – ١٣٨٩ ومهما تعددت الآراء في هذا المجال يمكن القول بأن أورخان هو صاحب فكرة تأسيس الجيش الانكشاري بينما كان مراد الأول هو الذي وضع أسسه الراسخة وتنظيماته المعقدة القائمة على الطاعة المطلقة والانقياد التام للسلطان ، بحيث لم يكن من الممكن ظهور مثل تلك القوة التي تعد من أبرز ما تميزت به الدولة العثمانية عسكريا مرة واحدة وبمثل تلك الفترة الزمنية القصيرة .

لم يكن للجيش الإنكشاري في القرن الرابع عشر تلك الاهمية التي أصبحت له فيما بعد ويعتقد المؤرخ الانكليزي كيبونز بأن العامل الديني كان وراء إنشاء هذا الجيش إذ إن مسيحيي البلقان لم يعيشون مثل مسيحيي الأناضول قرونا طويلة إلى جوار المسلمين لهذا فقد ابتكر السلاطين العثمانيون طريقة جديدة لإدخالهم في الدين الإسلامي وهي الطريقة التي تنص على اعتبارهم احرارا فيما إذا اعتنقوا الإسلام، ولكن هذه الطريقة لم تكن تطبق إلا في حدود ضيقة، لهذا جاءت نتائجها محدودة، ومن هنا ظهرت الضرورة لتأسيس الجيش الإنكشاري.

أما امتداد الدولة العثمانية في مناطق واسعة فقد أوجد لها التزامات جديدة، وترتب على ذلك ضرورة إيجاد قوات إضافية لإقرار الأمن وتثبيت الإدارة في هذه المناطق، ولهذا فقد طبق العثمانيون في الفترة بين ١٤٣٠ – ١٤٣٨ في عهد السلطان مراد الثاني ١٤٢١ – ١٤٥١ قانون التجنيد المسمى الدوشرمة أي انتزاع الأطفال المسيحيين من أهلهم

في مناطق الروم أيلي وفصلهم عن كل ما يذكرهم بآبائهم وأصلهم ودينهم وجيرانهم وتنشئتهم نشأة إسلامية وحملهم بعد ذلك على الانخراط في فرق الإنكشارية أو في الخدمة داخل القصور السلطانية.

كانت الدولة ترسل كل خمس سنوات لجانا تطوف الروم ايلي لانتقاء الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين سن السابعة وسن العاشرة ، وفي العاصمة استانبول يتحول الأولاد إلى الإسلام وتجري لهم جراحة الختان ويتلقون دراسات في اللغة التركية والتاريخ الإسلامي العام والتاريخ العثماني ، والنظم العثمانية وما إلى ذلك وفق منهج يستهدف محو كل اثر من آثار أصولهم وعواطفهم المسيحية الأولى ، فينشئون على التمسك بالدين الإسلامي والتعلق بالدولة العثمانية ، وكانوا يتلقون تربية عسكرية صارمة ، ثم يقسمون إلى ثلاث مجموعات حسب لياقتهم البدنية وقدراتهم العقلية ، إذ تعد المجموعة الأولى للعمل في وظائف الغلمان في القصور السلطانية وكانوا في العادة أجمل الأولاد شكلا ، ويطلق عليهم " أيج أو غلان " أي غلمان البلاط ، أما المجموعة الثاني فتعد لشغل الوظائف المدنية الكبرى في الدولة ، وقد يصل بعضهم إلى منصب الصدارة العظمى ويطلق عليهم مصطلح " أوج أو غلان " وينصرف أفراد المجموعة الثالثة وهي اكبر المجموعات للدخول في السلك العسكرية ضمن فيلق الانكشارية .

وقع الجيش الانكشاري تحت تأثير الطريقة البكتاشية ، وهي طريقة صوفية باطنية شاعت بين قبائل الأناضول منذ منتصف القرن الثالث عشر وأصبحت هاك علاقة وثيقة بين الانكشارية والبكتاشية ويقال إن حاجي بكتاش الذي تنتسب إليه البكتاشية وكان يسكن في قرية بالقرب من أماسيه التي تبعد عن أنقرة ١٨٠ كم ، بارك الجيش الانكشاري بوضع يده على رأس أحدهم بحيث غطى رأسه بكمه مخاطبا السلطان أورخان : فليكن اسم الجند الذي أنشأته حديثا ينى جرى ، وإني أدعو للجيش الجديد بياض الوجه وقوه الذراع ونفاذ السيوف ، وتسديد السهام ، وليكن طالعهم في الحرب ميمونا ، ونهاية قتالهم النصر .

وارتباطا بهذه المناسبة أصبحت قلانس الانكشارية بيضاء وشبيهة بقلنسوة حاجي بكتاش ، وجعلت لها أشرطة متدلية تقليدا لكمه الذي تدلى على رأس زميلهم ، ورغم أن هذه الرواية اسطورية ذلك أن حاجي بكتاش قد توفي قبل قرنا من مجرد التفكير في إنشاء الانكشارية ، فإنهم اتخذوه حاميا ورمزا لهم وأصبحوا يسمون انفسهم باولاد الحاج بكتاش وكان لإرشادهم في كل كتيبة عسكرية شيخ بكتاشي يسمى " بابا " يسكن مع الجنود شاهرا

سيفه ، ومن هنا أصبح كل نصر يناله الانكشارية يعزى إلى ذلك الشيخ وبركاته ، وليس من شك في أن هذا الارتبطا ساعد إلى حد كبير على تقوية سمعة الجيش الانكشاري الذي أَبح في نهاية القرن الخامس عشر القوة العسكرية الضاربة للدولة العثمانية .

اعتاد السلاطين العثمانيون بعد احتلالهم الاقاليم تثبيت حامية من الانكشارية في مركز كل ولاية على ان تكون تلك الحامية دائمة وقد ترد من العاصمة أحيانا قوات انكشارية جديدة لتحل محل الفرق القديمة ، وتكلف القوات الانكشارية كذلك سواء في العاصمة أو في الولايات بوظيفة حماية الأمن وجمع الضرائب ـ وكان " أغا " الانكشارية وهو بمثابة القائد العام للحماية العسكرية العثمانية في الولاية عضوا في ديوان الولاية ، وسلطة الوالي عليه محدودة ، ويعد اوجاق الانكشارية من أقوى الأوجاقات وأكثرها عددا في الولاية ، وقد عرف أوجاق الانكشارية بأنه أوجاق السلطان ، ومهمته مساعدة الوالي في تنفيذ أوامر السلطان ، والى جانب الحامية الانكشارية هناك الساهيون ، ويحق للوالي كذلك تشكيل فرق محلية من الأهالي .

أخذ الجيش الانكشاري بالتدهور منذ عهد السلطان مراد الثالث ١٥٧٤ ــ ١٥٩٦ ، حين سمح في سنة ١٥٨٢ بدخول عدد كبير من المجندين غير المدربين في صفوفهم ، بالرغم من معارضة أغا الانكشارية ويبدو أن مراد الثالث كان راغبا في إفساد تنظيم الانكشارية بعد ان أصبحوا يلجأون إلى استخدام القوة للتدخل في شؤون الحكم والحصول على المكاسب المادية ، كما استفادوا من ظروف الصراع الذين كان ينشب بين أبناء السلاطين المتنازعين على العرش ليفرضوا نفوذهم على السلطان ، يضاف إلى ذلك أنهم غادروا ثكناتهم ونزلوا إلى المجتمع وتزوجوا ، وصار الكثير منهم يشتغل بألوان النشاط التجاري والصناعي فارتبطوا بالمجتمع ضعف ارتباطهم بالدولة وقل ولاؤهم فنشأت منهم طبقة خاصة .

لقد لعب الانكشاريون دورا خطيرا في تاريخ الولايات العثمانية ومنها العربية ، إذ ساهموا في الفتن الداخلية وكثيرا ما نشب القتال بينهم وبين القوات المحلية ، وأصبحت كتائبهم تثير الفوضى وتلح في طلب الهبات السخية والأرزاق الوفيرة ، وقد قاسى الأهالي منهم الكثير من العنف وضجوا بالكوى من تعدياتهم وتزايدت اعباؤهم المالية حتى إنهم كانوا يبيعون تذاكر رواتبهم وتسمى " علوفات " وصارت هذه التذاكر تنقل بالوراثة ، فكان أن دخل الجيش الانكشارية من لا يتقن صنعة الجندية على الاطلاق ، ففي أوائل

القرن السادس عشر لم يكن عدد الانكشارية يزيد على خمسة عشر ألف جندي ، بينما ارتفع العدد ثلاث مرات في القرن السابع عشر .

حاول بعض الولاة الاعتماد على القوات المحلية إلا ان الانكشارية ناصبوا تلك القوات العداء لأنها تهدد امتيازاتهم وكان ذلك سببا في وقوع بعض الحوادث الدامية في معظم مدن الدولة العثمانية ، وتاريخ العراق والشام ومصر على سبيل المثال مليء بحوادثهم وظلمهم ورغبة الناس في التخلص منهم ، ولقد كثرت مشاكلهم منذ نهاية القرن السابع عشر ، فقد حاول بعض الولاة التخلص منهم ووضع حد لهم وانقاذ البلاد من شرورهم واستطاع بعضهم تأسيس عصبيات حاكمة كما حدث في بغداد والموصل وطرابلس وتونس كما عن بعض القوى المحلية استأثرت بالحكم ومن هؤلاء آل معن في لبنان وآل ظاهر العمر في فلسطين ، وآل الجليلي في الموصل .

أما في العاصمة إستانبول فقد أصبح الانكشاريون يثيرون الفتن والمتاعب للسلاطين، فتحولوا إلى أداة هزيمة وتخريب واستمرت تمرداتهم خلال القرن الثامن عشر، وكان أخطرها تلك التي حدثت في عهد السلطان أحمد الثالث ١٧٠٣ – ١٧٣٠ حين تمكن الإنكشارية في الثامن والعشرين من أيلول ١٧٠٣ من السيطرة على العاصمة وخلع السلطان وإعدام الصدر الأعظم واثنين من معاونيه.

إن التدخل في شؤون الحكم جعل الجيش الانكشاري بعيدا عن ممارسة مهامه الرئيسة في حفظ حدود البلاد وحمايتها من الأخطار المحدقة بها وفي الوقت الذي كان فيه الانكشارية يعبثون بمقدرات السلاطين لحقت بالدولة العثمانية في المجال الخارجي طوال القرن الثامن عشر هزائم خطيرة أمم الدول الأوربية مما أدى إلى ظهور اتجاه جديد في الدولة يدعو إلى إيقاف التدهور ، وهو الاتجاه المعروف بحركة الإصلاحات والتنظيمات العثمانية ولقد كان من الطبيعي أن يستهدف الإصلاح في المقام الأول التخلص من الجيش الانكشاري وإنشاء جيش جديد يحل محله ، ولم يحقق ذلك إلا في عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ – ١٨٣٩ .

الجيش الإنكشاري

المحاضرة الرابعة: السيطرة العثمانية على الشام ومصر والحجاز واليمن:

ان المماليك كانوا يحكمون الجزء الغربي من الشرق العربي ويضم الشام ومصر والحجاز واليمن ، وذلك منذ ان انتزع المماليك السيطرة من الأيوبيين القرن الثالث عشر ، وبعد تغير طرق التجارة واكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحول تجارة أوربا مع الشرق إلى هذا الطريق الجديد بدلا من مرورها بمصر ، عانت الدولة المملوكية تدهورا في اوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، إذ فقد المماليك موردا ماليا كبيرا كانوا يحصلون عليه من الضرائب المفروضة على البضائع التي كانت تنقلها القوافل عبر أراضيهم ، وقد وقع عبء هذا التدهور الاقتصادي على عاتق الطبقات الشعبية الكادحة من أصحاب حرف ومزارعين ، إذ فرضت السلطة المملوكية الضرائب الفادحة التي كانت موضع استياء الشعب آنذاك .

هذا في الوقت الذي أصبحت فيه النظم المملوكية في الإدارة والجيش متخلفة عما كانت عليه النظم العثمانية، إذ كان المماليك يعتمدون نظام الفرسان، أما العثمانيون فقد طوروا نظامهم العسكري، فصار مؤلفا من المشاة والمدفعية، وهذا يفسر لنا سبب فشل المماليك في مواجهة الخطر البرتغالي خاصة إذا ما علمنا أن البرتغاليين امتلكوا أساطيل كبيرة ولم يكن للمماليك قبل بها.

إن علاقة الدولة العثمانية المملوكية بقيت حتى أواخر القرن الخامس عشر علاقة مجاملة ومؤازرة عن طريق المراسلات وتبادل الوفود والهدايا. فعندما سقطت القسطنطينية بعث السلطان المملوكي حينذاك الأشرف اينال رسولا إلى السلطان محمد الفاتح يهنئه بهذا الانتصار ، وقد أشرنا فيما سبق إلى المساعدات التي قدمتها الدولة العثمانية في عهد با يزيد الثاني لدولة المماليك حين تفاقم الخطر البرتغالي ، ولكن العثمانيين سرعان ما أدركوا بعد هزيمة المماليك في معركة ديوا أوائل سنة ١٥٠٩ أنهم القوة الوحيدة القادرة على انقاذ العالم الإسلامي ، واعتقدوا أن وضع دمشق والقاهرة ومكة والمدينة تحت سيطرتهم يتيح لهم إمكانات اقتصادية وستراتيجية ومعنوية لا حد لها ، وقد منحتهم الانتصارات التي احرزوها ضد إيران والقوى الأوربية ثقة عالية بأنفسهم .

لقد اتجه العثمانيون بعد انتصارهم على الدولة الفارسية في موقعة جالديران سنة ١٥١٤ للتوسع على حساب دولة المماليك في بلاد الشام ودخلت العلاقات المملوكية –

العثمانية مرحلة سلبية وصلت إلى حد الحرب بين الدولتين ، أما السبب المباشر للاحتلال العثماني لبلاد الشام فكان تهديد الدولة العثمانية لحدود الدولة المملوكية وذلك عندما هاجمت إمارة ذو القدر ، وهي إمارة تركمانية صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من الأناضول على الحدود الشامية وعاصمتها مرعش ، وقد تأسست في منتصف القرن الرابع عشر وكان أميرها متحالفا مع المماليك معترفا بتبعيتهم لهم ، وضمتها إليها بحجة عرقلتها سير جيوشها أثناء تقدمها لمحاربة الإيرانيين متعاونة في ذلك مع دولة المماليك نفسها .

وهكذا قامت الحرب بين الدولتين ، وجرت معركتها الحاسمة على أض سوريا في سهل " مرج دابق " في ٢٤ آب سنة ١٥١٦ بالقرب من مدينة حلب ، وكان السلطان سليم الأول يقود الجيش العثماني ، أما الجيش المملوك فكان بقيادة السلطان قانصوه الغوري (١٥٠٠ – ١٥١٧) ووضح منذ اللحظة الأولى للمعركة أنه ليس ثمة تكافؤ بين الطرفين وخاصة في مجال التنظيم وإدارة الحرب ونوعية الأسلحة المعتمدة ، فالجيش المملوكي المرتكز على نظام الفروسية لم يستطع مقاومة القوات العثمانية بتنظيمها المتقن واستعمالها المدفعية وأساليب القتال الحديثة ، كما كان لخيانة قائدين مملوكين للسلطان الغوري وهما خاير بيك نائب حلب وجان بردى الغزالي نائب دمشق وتبادلهما الرسائل سرا مع السلطان سليم أثر كبير في هزيمة المماليك ومقتل السلطان الغوري وانسحاب بقية القوات المملوكية المنهزمة إلى مصر ، وعلى حد تعبير ابن زنبل وهو مؤرخ معاصر فإنهم تركوا أثقالهم وأموالهم واختاروا سلامة الروح .

دخل السلطان سليم مدينة حلب في ٢٨ آب ١٥١٦ وقد قرئت الخطبة في مسجد الملك الظاهر باسمه ووصفه الخطيب بأنه مالك الحرمين الشريفين ، فنهض من مكانه وقال بل أنا خادم الحرمين الشريفين ، وقد بقي في حلب قرابة ثمانية عشر يوما ، نظم فيها أمور المدينة وما حولها كملاطية وبهنسي وعينتاب ، ثم توجه نحو دمشق فوصلها في ٢٧ أيلول وظل فيها ما يقارب شهور ، وقد أبقى السلطان سليم النظام الإداري في الشام على ما كان عليه أيام المماليك ، إذ وجد بلاد الشام مقسمة إلى ست مقاطعات تعرف كل واحدة منها باسم (نيابة) وهي نيابات حلب ودمشق وحماة وطرابلس وصفد والكرك ، وقد عين عليها بكوات من الأتراك العثمانيين الذين يثق بهم .

إلا إنه أجرى تعديلا لهذا الوضع قبل عودته إلى العاصمة وذلك بأن رفع من شأن بعض المدن وحولها إلى مراكز إدارية رئيسة متخذا الوحدة الإدارية العثمانية وهي

السنجق " اللواء " أساسا للتقسيم بدلا من النيابة ، كما عين جان بردى الغزالي واليا على دمشق ، ومد نفوذه على القسم الجنوبي من سوريا وحتى العريش ، ويشرف عليه حاكم حلب وثانيهما جنوبها ويشرف عليه حاكم دمشق ، وقد شمل التنظيم الإداري للسلطان سليم كذلك المدن الصغرى والقرى الكبيرة فعين على كل واحدة منها " صوبا شيا " يمثل السلطة العسكرية ويحفظ الأمن والنظام .

وكما اهتم السلطان بتركيز السلطة الإدارية العسكرية فإنه أظهر عناية كبيرة في تنظيم الخدمة القضائية، وأبقى على نظام الحسبة وأوصى المحتسبين والبكوات والصوباشية بتنفيذ أحكام القضاة وقراراتهم، ثم عين في كل سنجق مسؤولا عن تنظيم أمر المالية " الدفتر دار ".

هذا وقد ووزع السلطان سليم الحاميات التركية على السناجق وسعى لتثبيت هذه الحامية بربطها بأرض البلاد عن طريق إقطاع الخيالة " السباهين " تلك الأرض وشدهم إليها ، لكنه لم يحاول إدخال أنماط التنظيم الإداري العثماني بكل تفاصيله في منطقتين جبليتين من مناطق بلاد الشام أحدهما ، المنطقة الشمالية وتضم ملاطية وبهنسي وعينتاب وقلعة الروم وتسكنها قبائل تركية وتركمانية لها عاداتها الخاصة وتنظيمها العشائري الذي ينسجم مع طبيعة المنطقة الجبلية ، وثانيهما منطقة جبل لبنان التي كان لها كذلك أمراؤها الاقطاعيون من المارونيين والدروز ، وكانوا يعيشون أيام الحكم المملوكي متنافسين متناحرين ويتمتعون بأوضاع شبه استقلالية ساعدتهم على دعمها مناطقهم الجبلية الوعرة ، لذلك رأى السلطان سليم ضرورة إبقاء المنطقتين بأيدي رؤسائها الوارثين يحكمونها وفقا لعاداتهم الخاصة ويرتبطون بالسلطان العثماني بروابط التبعية ويقدمون له ما عليهم من خراج الأرض ، وساعده على ذلك أن كثيرا منهم قد وفد إليه مقدما فروض الطاعة والولاء بعد انتصاره في معركة مرج دابق ، ولعل من أبرز الذين وفدوا عليه فخر الدين المعنى الذين اعتراف السلطان به أميرا على جبل لبنان .

بينما كان السلطان العثماني سليم الأول يدعم سيطرته على الشام اجتمع في القاهرة قادة المماليك العائدون من القتال، وانتخبوا نائب السلطان الغوري " طومان باي " سلطانا جديدا عليهم، وقد كان على طومان باي توحيد صفوف المماليك، وإعادة بناء الجيش المملوكي بعد هزيمة مرج دابق وسقوط الشام بما يكفل الصمود في وجه الجيش العثماني

ومما زاد في صعوبة هذه المهمة أن الوقت لم يعد كافيا للقيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل، بعد ان قرر السلطان سليم مواصلة زحفه نحو مصر وإسقاط دولة المماليك.

عندما سقطت دولة المماليك في يد العثمانيين كان من الطبيعي أن يتبع ذلك سقوط الحجاز ، وذلك لأن المماليك كانوا أصحاب السيادة عليه ، وقد أعلن زين الدين بركات شريف مكة ١٤٩٧ – ١٥٢٥ ولاءه للسلطان العثماني بعد ان وصله فرمان منح الأمان ، وقد أرسل الشريف بركات وفده إلى القاهرة برئاسة ابنه الكبير ابو نمي ، ليقدم فروض الولاء في ٣ تموز ١٥١٧ ويلقي بين يدي السلطان سليم بمفاتيح الكعبة وبعض الاثار النبوية الشريفة إقرارا له بالسيادة على الحجاز ، وقد استقبل السلطان سليم أبي نمي بحفاوة بالغة وأعطاه تفويضا بحكم والده وأعلن السلطان سليم نفسه خادما للحرمين الشريفين ، وقد ساعد هذا التفويض الشريف بركات في تقوية مركزه أمام خصومه في الشرافة ، وهكذا دخل الحجاز في نطاق السيادة العثمانية دخولا سليما ، وقد احتفظ العثمانيون بنظام الشرافة كما كان عليه أيام المماليك مع إنشاء متصرفية في جدة باسم متصرفية الحيش ، واوفقت الدولة أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة ، وكانت إيراداتها تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعرف " حرمين دولابي " .

أما علاقة العثمانيين باليمن فقد بدت واضحة بعد سقوط الدولة المملوكية ودخول السلطان سليم القاهرة ، فقد أرسل الاسكندر الحركسي حاكم اليمن المملوكي وفدا ليقدم فروض الولاء للسلطان العثماني الذي وافق على إبقائه في منصبه ، إلا ان الصراعات الداخلية بين القادة المماليك انفسهم من جهة وازدياد نفوذ الامامة الزيدية بين قبائل الجبال من جهة أخرى جعلت السيطرة العثمانية في اليمن ضعيفة ، هذا بالإضافة إلى الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية مباشرة لذلك فقد بعث العثمانيون قوة عسكرية إلى اليمن لم تستطع إقرار الأمن والدفاع عن السفن الإسلامية التي كانت تتعرض لمدفعية البرتغاليين وذلك بسبب النزاع الذي نشب بين قائدها حسين الرومي متصرف جدة والريس سلمان أحد قادة البحر العثمانيين .

إن موقع اليمن إلى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية له أهمية كبيرة في اقتناع العثمانيين بأن سيطرتهم المباشرة عليه تجعلهم يضمنون سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز، والتحكم في البحرين الاحمر والعربي وامتلاك موطئ صالح للوثوب على الأسطول البرتغالي في المياه العربية.

تعد حملة سليمان باشا الأرناؤوطي سنة ١٥٣٨ أول حملة منظمة إلى اليمن فقد ضمت ٢٠ ألف شخص مع ٧٤ سفينة بحرية، مجهزة بالمدافع، وكان من أهداف الحملة أن يحتل العثمانيون اليمن ويسبقوا البرتغاليين في احتلال عدن ثم غلق مضيق باب المندب في وجه الأساطيل الأجنبية، وف ١٥٣٩ بدأ العثمانيون بعمليات توطيد السيطرة مما أدى إلى وقوع الصدام بينهم وبين الأئمة الزيدية، وقد احتل العثمانيون عدن سنة ١٥٣٨ وتعز سنة ١٥٤٥ كما سقطت صنعاء في قبضتهم سنة ١٥٤٧.

لقد أصبحت اليمن بعد الاحتلال العثماني تضم تسعة ألوية " سناجق " وهي صنعاء ، مخا ، زبيد ، صهلة ، كوكبان ، طويلة ، مأرب ، عدن ، ومن ناحية أخرى تحرك سليمان باشا بأسطوله ليستولي على بعض الموانئ العربية في حضر موت ومنا الشحر والمكلأ واجتاح ساحل الحبشة وعاد إلى السويس واكتفت الدولة العثماني في تلك المرحلة باحتلال ساوكن ومصبوغ على الجانب الغربي من البحر الأحمر سنة ١٥٥٧ ولم تستطع الحبشة التدخل ضد العثمانيين آنذاك بقوة لأنها كانت تعاني من ظروف الانقسام بين مؤيدي الكنيسة الشرقية ومؤيدي الكنيسة الغربية ، وذلك قبل دخولهما في حرب أهلية طويلة استمرت حتى أوائل القرن السابع عشر ، وقد استفاد العثمانيون من هذه الظروف فقاموا بحملات بحرية إلى الخليج العربي بقصد تخليصه من الضغط البرتغالي وقد مهد لهم ذلك السيطرة على العراق .

هذا وقد ظلت اليمن في فترة خضوعها للحكم العثماني الأول ١٥٣٨ – ١٦٣٥ تتنازعها قوى العثمانيين والأئمة الزيدية. فالعثمانيون لم يستطيعوا أن يضمنوا سيطرة حقيقية على البلاد نتيجة لحركات المقاومة التي ستواجههم .

المحاضرة الخامسة: السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي وأسباب انهيار البرتغاليين:

لقد أبقى السلطان سليم بعد انتصاره في موقعة جالديران سنة ١٥١٤ فرهاد باشا أحد قواده لإكمال احتلال الولايات المتاخمة للحدود العثمانية، وقد أمر فرهاد باشا بيقلي محمد باشا بالسيطرة على ماردين والرها والرقة والموصل وسنجار وتلعفر وجيزرة ابن عمر والعمادية وأربيل وكركوك، وقد تم احتلالها سنة ١٥١٥ غير ان الحكم العثماني في هذه المناطق ظل قلقا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين آنذاك.

أما العراق الأوسط والجنوبي فقد بقي تحت الاحتلال الفارسي، وقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال التي اتبعها الفرس، فقد كثرت الأوبئة وأهلمت مشاريع الري وظل نظام الأراضي يعاني كثيرا من الفوضى.

قام السلطان سليم الأول بإعداد حملة لاحتلال العراق وطرد الفرس ولكن المنية عاجلته سنة ١٥٢٠، وعندما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش ١٥٢٠ – ١٥٦٦ وضع في منهاجه توجيه ضربة قوية إلى الدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق والذي يمكن أن تتخذه الدولة العثمانية فيما بعد كقاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي تعزيزا لجهودها في مواجهة البرتغاليين في البحرين الاحمر والعربي.

لقد حاول السلطان سليمان القانوني في بداية الامر تنفيذ احتلال العراق باستمالة بعض حكامه المحليين، ولكن هذه الخطوة كانت سببا في جعل العراق ساحة للصراع العثماني الفارسي وكاد السلطان سليمان القانوني يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين أعلن ذو الفقار بيك بن علي بيك نفسه حاكما على بغداد وعزل عمه إبراهيم خان موصلو وتقرب من العثمانيين وأظهر الولاء لهم بعد أن بعث برسالة السلطان بذلك.

إلا ان الشاه طهماسب الأول الذي تولى الحكم بعد أبيه إسماعيل سنة ١٥٢٤ قام بهجوم كبير على بغداد سنة ١٥٣٠ وتمكن من قتل ذو الفقار وإخماد حركته وإعادة العراق إلى الحكم الفارسي ثانية.

شجعت هذه الأحداث العثمانيين على أن يتولوا بأنفسهم السيطرة على العراق ففي سنة ١٥٣٤ تحرك ا السلطان سليمان القانوني بجيش كبير متجها نحو تبريز، فوصل إلى سلطانية في ١٣ تشرين الأول وكانت الجيوش الفارسية تنسحب من أمامه مرحلة بعد

اخرى حتى وصل إلى همدان، وعبر جبال زاكروس وتوجه غربا نحو بغداد، أما الحامية الفارسية فيها فقد انسحبت عند سماعها بأنباء وصول الجيش العثماني، وهكذا دخل السلطان سليمان القانوني بغداد في ٣٠ كانون الأول ١٥٣٤ دون أن يواجه مقاومة تذكر .

أُقام السلطان سليمان القانوني في بغداد أربعة أشهر عمل خلالها على طمأنينة السكان وتحقيق الاستقرار وتنظيم الإدارة والضرائب ، فقد أرسل محمد باشا إلى الموصل لتثبيت الحكم العثماني المباشر عليها ووافق على تعيين الشيخ راشد بن مغامس أمير البصرة العربي واليا عليها شريطة أن يكون تابعا لباشا بغداد ، ثم عين حاكم ديار بكر السابق سليمان الطويل اول والٍ عثماني في بغداد .

أصبح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني مقسما إلى خمس مناطق إدارية عرفت بالإيالات وهي إيالة البصرة وإيالة الموصل وإيالة شهرزور ، وقد أعقب احتلال العراق امتداد النفوذ العثماني إلى منطقة الخليج العربي إذ صارت البصرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها سنة ١٥٤٦ القاعدة الثانية بعد السويس لإرسال الحملات البحرية ضد البرتغاليين .

السيطرة العثمانية على الخليج العربي:

وقد بدأ الصراع السافر بين العثمانيين والبرتغاليين حوالي سنة ١٥٥٠. عندما أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لحاكم هرمز حليف البرتغاليين، وأنهم يفضلون الدخول في حماية العثمانيين وقد أسرع البرتغاليون لإفشال مطمح سكان القطيف وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها، ولقد أرسل السلطان العثماني سنة ١٥٥١ قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سفينة لتهدئة أوضاع عدن الثائرة ضد العثمانيين ولكسر الطوق البرتغالي على التجارة في الخليج العربي.

حاصر بيري بك هرمز مدة شهر كامل ، إلا ان تحصيناتها القوية التي أنشأها البرتغاليون خلال وجودهم منذ أربعين سنة حالت دون سقوطها فاضطر إلى التراجع نحو البصرة بثلاث سفن فقط تاركا بقية أسطوله في مضيق هرمز خوفا من تقدم الأسطول البرتغالي قوي نحوه واحتمال غلق المضيق بوجهه ، وقد أعدم بيري بك في استانبول بعد ان وجهت إليه تهمة الفشل في تحقيق أهداف العثمانيين في الخليج العربي وتشويه سمعة

البحرية العثمانية ، وقد واصل العثمانيون جهودهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي فأسندت قيادة الأسطول البحري في مصر سنة ١٥٥٣ إلى سيدي علي الذي كانت له سمعة طيبة بسبب جهوده في البحر المتوسط ، وقد وصل سيدي علي البصرة وتسلم من الوالي العثماني هناك خمسة عشرة سفينة وأقلع سنة ١٥٥٤ متوجها إلى هرمز وهناك اصطدم بأسطول برتغالي قوي يتألف من أربع وثلاثية سفينة ، وبسبب إطلاقات مدافع البرتغاليين والرياح المعاكسة القوية اندفع الاسطول دون خطة باتجاه السواحل الهندية ، وفي ميناء مورات تفرق أعوان سيدي علي وتركوا ما لديهم من سفن وساروا في الطريق البري عائدين إلى البصرة ، فاضطر سيدي علي إلى بيع السفن وإرسال أثمانها إلى استانبول .

وبعد حملة سيدي علي أرسلت إلى الخليج العربي بضع حملات عثمانية إلا انها لم تنجز أكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة ١٥٥٩ ولمسقط سنة ١٥٨١ وفي كلتا الحالتين أجبرتها الأساطيل البرتغالية على الانسحاب.

إن الحملات العثمانية المتوالية بالرغم من عدم تكللها بالنجاح التام الا انها ساهمت بشكل أو بآخر في إضعاف شوكة البرتغاليين في الخليج العربي ، ولم يعد الطوق الذي فرضوه محكما ، على أنه لم يتحقق التخلص من النفوذ البرتغالي نهائيا الا على يد عرب الخليج أنفسهم ، ولقد ساعد خضوع البرتغال إلى العرش الاسباني بين سنتي ١٥٨٠ – ١٦٤٠ ووصل الانكليز والهولنديين إلى الخليج العربي على اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم في الخليج العربي ، لكن نمو قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين من المنطقة ، لقد ظهرت دولة اليعاربة في عمان سنة ١٦٢٤ وتولت مسؤولية الصراع ضد البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الأوائل وخاصة ناصر بن مرشد ١٦٢٤ – ١٦٤٩ وسلطان بن سيف ١٦٤٩ – ١٦٦٨ في القيام بحركة تحريرية كبرى لم تقتصر على مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج أو سواحل الجزيرة العربية ، وإنما امتدت إلى قواعد البرتغاليين وقلاعهم في الهند وفي سواحل شرق إفريقيا فتحررت صحار ومسقط ، وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي للخليج العربي آخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة ١٦٩٥ .

إن أسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحا تاما في كفاحهم ضد البرتغاليين يمكن ان يعزى إلى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم بأعمال تعسفية إزاء السكان العرب بالرغم من تعاونهم مع العثمانيين في جهودهم الحربية المناهضة للبرتغاليين ، بالإضافة

إلى ذلك فإن الاسطول العثماني في القرن السادس عشر كان مؤلفا من سفن صغيرة غير قادرة على التاثير الفعال ضد السفن المحيطية الكبيرة ، يضاف إلى ذلك صعوبة تجهيز وإدامة أسطول عثماني تكفي قوته لمواجهة الأساطيل الأوربية في البحر المتوسط والمحيط الهندي في الوقت نفسه ، وذلك لانشغال الدولة العثمانية في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين .

ومهما يكن من أمر فإن من نتائج الصراع العثماني – البرتغالي قدرة العثمانيين في المحافظة على الأماكن المقدسة الإسلامية وطريق الحج وكذلك حماية الحدود الإسلامية البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر ، كما إن البرتغاليين برغم ما بذلوه من جهود لم يستطيعوا قطع الطرق التجارية التي تربط الهند و اندنوسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر ، فقد استمرت عمليات تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوربيين في أسواق حلب والقاهرة واستانبول وبورصة ، وفي سنة ١٥٥٤ على سبيل المثال اشترى البندقيون وحدهم ستة آلاف قنطار – القنطار يساوي ١٠٠ كغم – من التوابل في الإسكندرية وفي الوقت نفسه كانت تصل إلى ميناء جدة في كل سنة حوالي عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية كالتوابل والأصباغ والأنسجة .

كما إن مشتريات البندقيين السنوية من التوابل البالغة ١٢ ألف قنطار بين سنتي ١٥٦٠ – ١٥٦٤ هي نفس الكمية التي كانوا يشترونها قبل اكتشاف فاسكودي غاما للطريق البحري الجديد المؤدي إلى الهند.

المحاضرة السادسة: السيطرة العثمانية على اقطار المغرب العربي:

كانت اقطار المغرب العربي تعيش حالة من التفكك السياسي والتدهور الاقتصادي ولاسيما بعد ظهور الاطماع الاسبانية البرتغالية فيما جعل السلطان سليم الأول بأن يأخذ على عاتقة مهمة بناء قوة بحرية تتولى انتزاع السيادة البحرية من الدول الاوربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وقد عاصرت مشروعات الدولة العثمانية في هذه المنطقة ظهور حركة عامة بين قادة البحر المغاربة تستهدف العمل على حماية موانيهم وسواحلهم من الأطماع الأوربية ، والعمل على تأمين وصول المهاجرين العرب من الأندلس بعد سقوط الدولة العربية فيها سنة ١٤٩٢.

لقد كان من أبرز أولئك القادة البحاران المغربيان عروج بن يعقوب وأخيه خير الدين المعروف بباربروس – أي ذو اللحية الصفراء – اللذان كانا يمتلكان اسطولا قويا يعمل في البحر المتوسط ، وكان عروج منذ سنة ١٥١٠ يتولى إدارة جزيرة جربة وهي جزيرة صغيرة تقع في خليج قابس شرقي تونس بموافقة سلطان تونس أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي ١٤٩٤ – ١٥٢٦ مقابل دفعة للسلطان خمس الغنائم التي يحصل عليها من جراء الغارات التي يشنها على السفن الاوربية. وكان للقصص التي يتداولها الناس عن الفظائع التي يرتكبها الاسبان ضد عرب الاندلس والمخاطر التي يتعرضون لها عقب خروجهم من الاندلس ولاسيما خطر وقوعهم أسرى لدى القراصنة الأوربيين من الأسباب التي جعلت عروج وأخيه خير الدين يوجهان جزءا من نشاطها العمل على إنقاذ العرب الاندلسيين عن طريق تأمين إيصالهم بسلام إلى المغرب العربي ويقال إن عدد الذين تم إنقاذهم يقدر بعشرات الآلاف.

اتجهت أنظار عرب المغرب إلى عروج وأخيه خير الدين لإنقاذهما من النير الأجنبي وكانت بجاية في طليعة المدن التي استنجدت بالأخوين لتحريرهما من الاسبان وقد لبى الأخوان الدعوة لكنهما أخفقا في تحريرها بسبب مناعة حصونها لذلك أحس الأخوان بضرورة البحث عن قاعدة جديدة لنشاطها فوقع اختيارهما على ميناء جيجل الجزائري الذي يقع على بعد ١٠٢ كم غرب بجاية وقد تمكن الأخوان من تحريره وجعله مركزا لنشاطهما.
اتصل عروج بعد تحرير جيجل بالسلطان سليم الأول وأرسل إليه جزءا من الغنائم وشرح له طبيعة المخاطر التي يتعرض لها المغرب العربي وبين له حاجته إلى الدعم والتأييد ، وقد اغتبط السلطان سليم بهذا العرض وبعث إلى عروج اسطولا مؤلفا من ١٤ سفينة مع

إمدادات من الرجال والسلاح والذخيرة ويبدو ان الدعم الذي تلقاه عروج من العثمانيين زاد من إمكاناته وطموحه ، إذ حاول احتلال بجاية ثانية في اب ١٥١٤ واستعان لذلك الغر بقوة من قبيلة كتامة قوامها عشرون ألف مقال إلا أنه فشل في ذلك واضطر إلى رفع الحصار الذي يستمر ثلاثة أشهر وعاد إلى مقره في جيجل ، ويمكن عزو هذا الإخفاق إلى عوامل عدة منها رداءة الأحوال الجوية ووصول قوة إسبانية لنجدة حامية بجاية ، إضافة إلى حلول البذار وما ترتب عليه من تخلي رجال القبائل عن القتال وعودتهم إلى حقـــــــــــــولهم.

قرر عروج توجيه جهوده نحو تحرير ميناء الجزائر بعد ان تسلم بضعة رسائل استغاثة من بعض الاهالي ، ومما تضمنته رسالة أحدهم وهو الشيخ ابو العباس بن احمد قاضي الزواوي ، وهو عالم وفقيه جزائري معروف بموقفه المعادي للإسبان قوله : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب . وقد جاء قرار عروج هذا اثر دراسة مستفيضة لأوضاع الجزائر إذ أدرك أن نجاحه في احتلال الجزائر وهي التي تتمتع بموقع ممتاز على البحر في منتصف المسافة بين بجاية ووهران ، سيجعله قادرا على إنقاذ بجاية وسواها من المدن الساحلية التي كانت ترزح تحت النير الاسباني ، كما عن السيطرة على الميناء ستكون بمثابة خطوة على طريق تأسيس حكم جديد في الجزائر تكون السلطة فيه له ولأخيه ، وعليه اتصل عروج بأخيه خير الدين وكان آنذاك في تونس وطلب منه تجنيد المتطوعين الراغبين في القتال ضد الاسبان والتوجه بهم بحرا للمساهمة في هذه الحملة وخرج خير الدين على رأس قوة بحرية مؤلفة من ٢١ سفينة على متنها ١٥٠٠ مقاتل ، اما عروج فقد غادر جيجل ومعه قوية برية ومعه قوية برية قوامها ٨٠٠ مقاتل ، وأخذ في طريقه إلى ميناء الجزائر يجند القبائل الجزائرية حتى بلغ عدد أفرادها ٥٠٠٠ وبعد ان نجح الإخوان في تحطيم المحاولات الدفاعية التي قامت بها الحامية الاسبانية وتم لهما تحرير ميناء الجزائر في أواسط سنة ١٥١٦ اتجها نحو تلمسان وتناس والمدية وميليانة في جنوب مدينة الجزائر لتحريرها من السيطرة الأجنبية.

حاول عروج إنشاء دولة في الجزائر قادرة على تحقيق وحدة المغرب العربي الا ان هذه البداية الناجحة فشلت حين أدرك الاسبان أن قوات عروج أصبحت تشكل تهديدا خطيرا لوجودهم الاستعماري في المنطقة كله ، لذلك فقد أصدر الملك شارك الخامس أوامره إلى حاكم وهران الاسباني بالتقدم نحو تلمسان وإجلاء قوات عروج عنها ، وقد نجحت القوة الاسبانية في محاصرة عروج في مكان قع قرب وادي الملح بين وهران

وتلمسان وقتله وتشتيت أتباعه سنة ١٥١٨.

أدار خير الدين الصراع ضد المستعمرين الاسبان بعد مقتل أخيه عروج ، وأدرك منذ البداية ضعف موقفه السياسي وضآلة إمكانياته العسكرية لذلك أرسل بعثة إلى استانبول ترأسها أبو العباس بن احمد بن قاضي الزواوي يطلب فيها المساعدة من العثمانيين ، على امل أن يؤدي ذلك إلى تقوية مركزه ومن ثم تمكينه من الوقوف بوجه الاسبان ، وقد رحب السلطان سليم ومنح خير الدين لقب باشا ورتبة بكلر بكي الجزائر وأرسل إليه في سنة ١٥١٨ قوة من الانكشارية قوامها ستة آلاف رجل بمدافعهم وعتادهم الحربي تكون منهم " الأوجاق " أي قوة الجزائر الحربية وسمح له بتجنيد المتطوعين من الأناضول.

وقد نجح خير الدين في احتلال قلعة البينون يوم ٢٧ أيار سنة ١٥٢٩ بعد سلسلة من المعارك الدامية ضد المحتلين الأسبان وبذلك خلص مدينة الجزائر من نيران المدفعية الاسبانية التي كانت تسلط عليها من هذه القلعة التي لم تكن تبعد عن المدينة أكثر من ٣٠٠ متر، إن احتلال قلعة البينون ثبت وضمن أمن مدينة الجزائر، ويعد ذلك في الحقيقة بداية السيطرة العثمانية على المغرب العربي. فقد استدعي السلطان سليمان القانوني خير الدين باربروس إلى استانبول ليتفق معه حول الاجراءات التي يمكن اتخاذها لإيقاف الزحف الأوربي والعمل على تثبيت أقدام العثمانيين في الغرب العربي كجزء من عملية توسعهم في الوطن العربي.

قام خير الدين بإعادة بناء الاسطول الجزائري ، واستعد لاقتحام تونس وضمان حرية التنقل بين شواطئ واطي البحر المتوسط ، وفي ١٨ نيسان سنة ١٥٣٤ استولى بسهولة على مدينة تونس بعد ان اغتنم الثورة التي نشبت فيها ضد حاكمها أبي محمد الحسن الحفصي حليف الاسبان.

وسرعان ما استنجد الحسن بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع اسطولهم في حزيران سنة ١٥٣٥ أمام ساحل سردينا والتوجه نحو تونس والاصطدام مع قوات خير الدين ومحاصرتها ، عندئذ اضطر خير الدين للانسحاب إلى ميناء عنابة ثم إلى ميناء الجزائر.

أما الاسبان فقد احتلوا مدينة تونس يوم ٢١ تموز ١٥٣٥ وأعادوا الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا ضمن لهم مصالحهم وكان من أبرز بنود الاتفاق:

١. إطلاق سراح جميع الأسرى الاوربيين دون دفع أي فدية.

٢.ضمان حرية التجارة للأوربيين والامتناع عن أعمال القرصنة.

٣.على سلطان تونس دفع جزية سنوية إلى الاسبان مقدارها ١٢ ألف قرش.

٤. أن يتعهد سلطان تونس بتقديم هدية سنوية مكونة من ١٢ حصانا و١٢ مدفعا دليلا على الاستمرار بالاعتراف بالسيادة الاسبانية.
٥. تتعهد اسبانيا بحماية تونس ضد أي هجوم أجنبي.
٦. يبقى احتلال تونس لحين هدوء الحالة فيها.

بالغ الاسبان في الانتقام من التونسيين بسبب انضمامهم لقوات خير الدين فاستباحوا المدن التونسية ثلاثة أيام وفتكوا بقرابة ستين ألف من المواطنين التونسيين لذلك سرعان ما اندلعت الانتفاضات الشعبية ضد صنيعة الاسبان الحسن الحفصي وقد بلغت هذه الانتفاضات ذروتها في القيروان التي رفضت الاعتراف بسلطان يدين بعرشه للتدخل الأجنبي، ثم توالت الانتفاضات مما اضطر السلطان الحفصي إلى الفرار فاستدعى التونسيون ابنه أبا العباس أحمد والي عنابة لتولي الحكم.

وجه الاسبان اسطولهم إلى جزيرة جربة سنة ١٥٦٠ فاصطدم الاسطول العثماني ودحره وكان من بين الاسرى الأوربيين الكونت سيكالا الذي أعلن اسلامه وعرف باسم سنان باشا وكان له فيما بعد دور كبير في قيادة الاسطول العثماني وتحرير تونس من السيطرة الاسبانية في اواخر سنة ١٥٧٤ ومنذ ذلك الوقت وحتى ١٥٧٨ غدت تونس ولاية عثمانية يشرف على إدارتها والي الجزائر.

أما ليبيا فقد أشرنا فيما سبق أن أشرنا إلى احتلال الاسبان لمينائها طرابلس في سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٥٣٥ سلمت إلى فرسان القديس يوحنا بعد ان اشترطوا عليهم الدفاع عنهم ضد العرب ، وكان هذا التسليم ضمن اتفاقية عاملة طالب فيها الفرسان من شارل الخامس تسليم مالطة لتكون قاعدة لهم يغزون منها الوطن العربي.

في أعقاب تولي خير الدين قيادة الاسطول العثماني سنة ١٥٣٣ وضع خطة للاستيلاء على طرابلس ، إلا ان التدخل الإسباني في سنة ١٥٣٥ أدى إلى فشل الخطة ، وفي ١٨ أيلول سنة ١٥٥١ نجحت السفن العثمانية التي تجمعت في شرق البحر المتوسط ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرابلس ولاية عثمانية.

أما إقليم برقة فقد كان تحت السيطرة العثمانية منذ الاستيلاء على مصر وقد أعلن زعماء إقليم فزان من أسرة بني محمد ولاءهم للعثمانيين، تولى حكم ليبيا عدد من الولاة العثمانيين كان دار غوث باشا أشهرهم، وهو الذي وسع السيطرة العثمانية لتشمل السواحل الليبية بكاملها، كما أنشأ فرق الإنكشارية هناك على أن اهتمام العثمانيين بليبيا ظل عسكريا بالدرجة الأولى واقتصر نفوذهم على المدن الساحلية.

أما مراكش الواقعة في الركن الغربي من المغرب فقد ظلت بعيدة عن متناول العثمانيين وحكمهم المباشر وذلك بسبب تنامي قوة الدولة السعدية الناشئة منذ منتصف القرن السادس عشر ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها القادة العثمانيون ومنهم علي العلج بكر بكي الجزائر منذ ١٥٦٨ لإخضاع مراكش الا ان ذلك لم يتحقق لسببين مهمين أولهما : النصر الكبير الذي حققه المغاربة على البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨ الذي جعلهم محط تقدير السلطان العثماني ورغبته في إيقاف الحملات الموجهة ضد مراكش ، وثانيهما : ظهور شخصية قوية حاكمة فالمغرب ذلك هو المنصور السعدي الذي سعى للمحافظة على استقلال مراكش وعدم الخضوع للسيطرة العثماني.

لقد اتسم العثمانيون في المغرب العربي بظاهرة ضعف السيطرة العثمانية على ولاياته وبخاصة بين القرنين السابع عشر والتاسع وذلك لبعد المسافة التي تفصل بين هذه الولايات وعاصمة الدولة ، ثم لضعف الاداة التي لا بد منها لاحتفاظ الدولة بسيطرتها على تلك الولايات وهي القوة البحرية لذلك فقد لجأت هذه الولايات إلى تنظيم أداة الحكم والحرب فيها على نحو يكفل لها الدفاع عن كيانها في مواجهة الغزو الأوربي ، فقامت في طرابلس وتونس والجزائر أسر حاكمة تدين بالولاء الاسمي للعثمانيين ويتوارث أعضاؤها الحكم فيما بينهم ، ففي طرابلس قامت الأسرة القرمانلية وحكمت من ١٧١١ حتى ١٨٣٥ ، أما تونس فقد ظهرت الأسرة الحسينية التي تولت الحكم منذ ١٧٠٤ وحتى ١٩٥٦ وفي الجزائر اعتاد قادة البحر على اختيار حاكم من بينهم ، يسمونه " الداي " أما مراكش فقد استعصت على العثمانيين بفضل المقاومة التي أبدتها أسرة الشرفاء العلويين التي ما تزال في الحكم حتى يومنا هذا.

الإمبراطورية العثمانية في اوج اتساعها

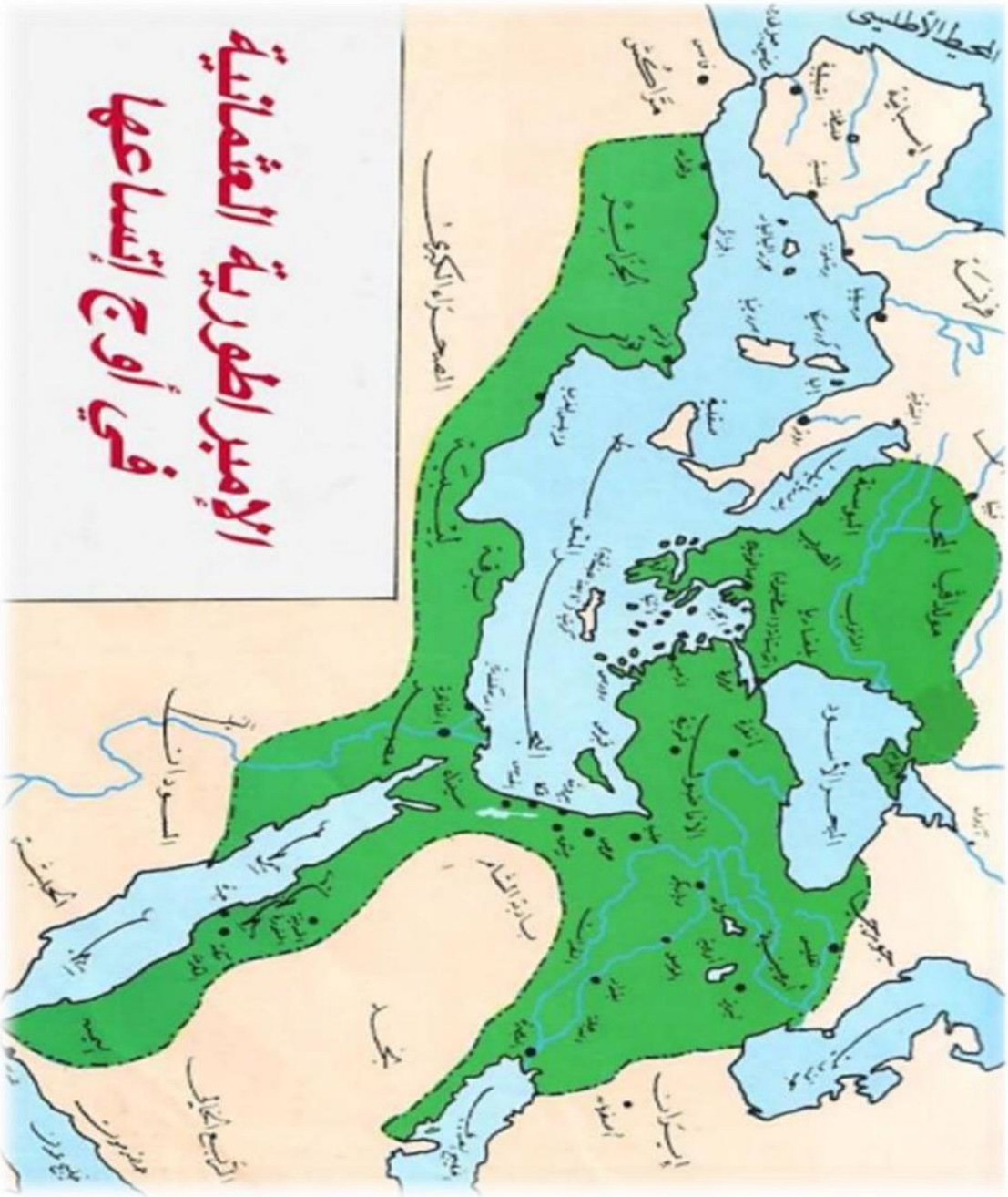

المحاضرة السابعة: مقاومة الدول العربية للحكم العثماني:

واجهت السياسة العثمانية في الوطن العربي سلسلة من الانتفاضات والثورات المحلية وذلك منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وقد ازدادت هذه الانتفاضات حين اخذت الدولة العثمانية بالضعف في القرن الثامن عشر الميلادي فاتسعت قاعدة التحدي وعبر الشعب العربي عن مقاومته للسيطرة العثمانية فوصلت الثورات الى المستويات الشعبية في المدن والارياف فظهرت اسر حاكمة مثل ال العظم في بلاد الشام الى جانب ازدياد نفوذ العشائر في أطراف المدن واتسعت الهوة بين العرب والعثمانيين في القرن التاسع عشر.

اتخذت الانتفاضات والثورات العربية اشكالاً مختلفة وشاركت فيها فئات الشعب العربي كلها واظهرت تلك الانتفاضات والثورات التناقض القومي بين العرب والأتراك وكان العراق واحداً من اهم المراكز العربية لمقاومة العثمانيين ولعل انتفاضة (عبد الغني جميل المفتي) التي نشبت في بغداد ضد السيطرة العثمانية من أبرز تلك الانتفاضات فلقد كان لتدهور أوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عقب سقوط داود باشا سنة ١٨٣١ اخر ولاة المماليك الذين حكموا العراق من عام ١٧٥٠ اثر كبير في حدوث هذه الانتفاضة والتي كانت استجابة واضحة للتذمر الذي اعم أهالي بغداد لسوء سياسة الوالي علي رضا باشا وجهازه الإداري وتعبيراً عن تمسك العراقيين بالاستقلال النسبي الذي تمتعوا به خلال سنين حكم المماليك ففي ٢٨ أيار سنة ١٨٣٢ خرج جمع غفير من محلة التي يقطنها المفتي وانضمت اليه جماعات من المحلات الأخرى وتوجهوا نحو السراي وهي تنوي الهجوم عليه فحدثت معركة حامية بين المتظاهرين والحرس الذين تصدوا للمظاهرة غير ان الوالي استطاع ان يجمع قواته ونجح بتشتيت شمل المتظاهرين وسلط مدافعه على محلة قنبر علي واشعل فيها النيران ونهبت دار المفتي ثم أحرقت مكتبته الثمينة التي يقدر عدد كتبها بنحو سبعة الاف كتاباً.

اما المفتي فقد التجا الى عشيرة (العقيل) القاطنة بجانب الكرح فامر الوالي علي رضا باشا بطرد العشيرة المذكورة من بغداد فرفضت امره واشتبكت مع قواته بتاريخ ٤ كانون الأول عام ١٨٣٢.

ولقد استعان والي بغداد (بالمقيمية) البريطانية في تسهيل نقل قواته الكثيرة العدد الى جانب الكرخ وافلحت القوات العثمانية في قمع الانتفاضة وعاثت في المنطقة فساداً ونهباً

وحرقاً وهذه الانتفاضة رغم فشلها لأسباب موضوعية اثبتت حب العراقيين للاستقلال ورفضهم للسيطرة العثمانية.

اما **لبنان** فقد شيد انتفاضات عديدة اشهرها تلك التي وقعت في القرن التاسع عشر الميلادي والمسماة (بالعاميات) والعامية هي كل حركة يقوم بها الشعب بالدفاع عن حقوقه من ظالميه ومن هذه العاميات عامية انطلياس ففي سنة ١٧١٩ كتب عبد الله باشا والي عكا الذي فرض سيطرته على بلاد الشام كلها الى الأمير بشير الشهابي (من حكام منطقة جبيل) طالباً اليه ان يدفع مبلغاً كبيراً من المال خلال شهرين والا يضطر لعزله من امارة جبل لبنان وهنا طلب الأمير من جباة الضرائب جمع الأموال من الشعب بكل الطرق والوسائل وماذا يهم الأمير فقر الشعب وعوزه مادامت القضية بقاءه في الامارة.

اما في **دمشق** فقد حدثت ثورة كبيرة سنة ١٧٩٨م ورفض أهالي دمشق دفع الضرائب الى احمد باشا الجزار لكن الباب العالي سرعان مادرك هذه الثورة على مصالحه ففر تعيين والي جديد على دمشق ومع ذلك استمرت الانتفاضات وخاصة بجبل عرب ففي سنة ١٨٨٦ م نشب انتفاضة فلاحية هناك اضطرت السلطات العثمانية على اثرها الى تعيين شبل الاطرش المعروف بصداقته للقلاحين على منطقة جبل العرب كما نشبت انتفاضة أخرى في سنة ١٨٨٩ احتجاج على محاولة السلطات العثمانية تشييد ثكنات عسكرية في السويداء وهو المركز الاداري لجبل العرب، لكن السلطات العثمانية استطاعت ان تقمع هذه الانتفاضة وكانت ظاهر ة الانعزال بين الانتفاضات والحركات الثورية العفوية اثر كبير على فشلها وقدرة السلطات العثمانية على قمعها الواحدة تلو الأخرى.

اما في **مصر** فقد نجح أحد كبار المماليك سنة ١٧٦٩ وهو علي بيك الكبير من اعلان استقلال مصر وبدأ بتأسيس دولة مصرية قوية شملت الحجاز ومصر وتحالف مع الشيخ ظاهر العمر حاكم صفد في فلسطين ولكن العثمانيين حاصروا علي بيك الكبير سنة ١٧٧٥ وحاصروه في عكا وقتل بعد ذلك.

كما شهدت بلدان العالم العربي حركات وانتفاضات عربية ففي **تونس** نجح الأهالي في فرض احد الرجال العسكريين حاكماً لولايتهم ولقبوه بالباي واضطرت السلطات العثمانية سنة ١٥٩٠ ان تعترف به حاكماً وبمرور الزمن زادت سلطة (البكوات) وهم مسؤولون عن الإدارة وجمع الضرائب الى درجة تولي السلطة وقد عمد احدهم وهو (مراد بيك) في أواسط القرن السابع عشر الميلادي الى جعل الحكم وراثياً بأسرته فنشأت الاسرة (المرادية) المتحكمة في البلاد حتى سنة ١٧٠٢ ويعتبر (حمودة باشا) اشهر بايات تونس

وهو اول باي جند العرب بدلاً من الانكشارية في الجيش، وحين حاول الانكشاريون بالتمرد عليه استند الى قواته العربية في مواجهتهم مما ساعد ذلك على إقامة توزان داخلي في تونس رغم احتفاظها بعلاقاتها الرسمية مع الدولة العثمانية.

اما **ليبيا** فقد شهدت خلال العهد العثماني الذي بدأت سنة ١٥٥١ سلسلة من الانتفاضات وقد استطاعت احدى الاسر المحمية الوصول الى الحكم وهي الاسرة(القرمانلية) التي حكمت من ١٦١١-١٨٣٥ وبعد توسع نفوذ هذه الاسرة وتزايد خطر محمد علي باشا في مصر اهتمت الدولة العثمانية بإعادة الحكم المباشر الى ليبيا سنة ١٨٣٥ فبدأ بذلك العهد العثماني الثاني وهو عهد الولاة الاتراك الذين استمروا حتى الغزو الإيطالي الى ليبيا سنة ١٩١١.

المحاضرة الثامنة: التنظيمات العثمانية في الوطن العربي:

نتيجة للظروف السياسية والعسكرية والإدارية التي مرت بها الدولة العثمانية بسبب الوضع المتردي خلال القرن الثامن عشر المتمثل بعدم استباب الوضع الداخلي وزيادة تمرد الانكشاريين والولات على الحكومات المركزية وسوء الأحوال الاقتصادية والانكسارات العثمانية امام القوى الخارجية الامر الذي دفع بالسلاطين العثمانيين الى الإسراع بعملية الإصلاح فقد شهدت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن محاولات عديدة لإصلاح نظم الحكم والإدارة العثمانية سميت منذ عام ١٨٣٩ تقريباً باسم التنظيمات، وانقسم دعاة الإصلاح في الدولة العثمانية الى فريقين: فالفريق الأول يرى ان العلاج يكمن في تطبيق الأنظمة الإسلامية والتقاليد العثمانية الاصيلة، اما الفريق الثاني فقد ارتأى ان الإصلاح في الدولة العثمانية يستلزم اقتباس النظم الاوربية واستلهامها. وراى ان الدول الاوربية لا تقاوم بالارتداد الى الإسلام الأول او الاعتصام بالأساليب العثمانية بل السير في الطريق الذي أوصل اوربا من الضعف الى القوة ويظهر ان نجاح الأقطار الاوربية آنذاك في الأمور العسكرية وفي تطوير أنظمتها رجح كفة الفريق الثاني.

انبرى رجالها المثقفين لوضع ديباجة لعملية تنظيم مركزي تشمل كافة المجالات الإدارية والمدنية والعسكرية لانقاد كيان الدولة من الاضمحلال فنجحت الدولة في استحداث عدداً من المجالس المكثفة بتطبيق الإصلاحات التي نادى بها السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) وهذه المجالس كانت نوع من الأجهزة التشريعية مهمتها مناقشة أمور الدولة وإصدار القرارات بشأنها فالأمور القضائية يتولاها " المجلس الاعلى للأحكام العدلية" والأمور الإدارية يتولاها " مجلس شورى الباب العالي" اما الأمور العسكرية يتولاها "مجلس الشورى العسكري" أقيمت عدة مجالس مختلفة عام ١٨٣٨ للنظر في شؤون الزراعة والتجارة والصناعة والاشغال العامة وبذلك تخلت الدولة عن مؤسساتها القديمة لتقيم بدلا منها مؤسسات أخرى حديثة.

يعد مرسوم كولخانة الذي أصدره السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) من سلسلة مراسيم وقوانين صدرت في اعقابه تتضمن لإعادته وتنظيم الأجهزة الإدارية والمالية والقضائية وتؤكد على مشاركة الأهالي على مستوى الولاية واللواء والقضاء والناحية لمراقبة الإدارة والعمل على حل مشكلاتها، ويأتي ذلك من خلال تشكيل مجلس الولاية والسنجق والمجلس العمومي والمجالس البلدية والاختيارية والمجالس الإدارية المحلية التي الفت

لمراقبة عمل الباشوات وكان صورة للدساتير شهدتها اوربا خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر. ولم يكن مستمداً من الشريعة بل استهدف مصلحة الدولة مثله في ذلك مثل كثير من القوانين التي أصدرها السلاطين السابقون لبيان ان خط كولخانة لم يكن كافياً في نظر الدول الاوربية التي تطمح الى عمليات " اصلاح أوسع" تقدم لها ضمانات الاختلاف الكامل والفصل العلمي بين الإسلام والمؤسسات العثمانية. لذلك حاولت الدول الاوربية للممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية، فأصدر السلطان عبد المجيد الأول في ١٨ شباط ١٨٥٦ خط شريف همايون عقب حرم القرم (١٨٥٣-١٨٥٤) فكان بمثابة هدية الى بريطانيا وفرنسا اللتين وفقتا ضد تقسيم السلطنة في اعقاب حرب القرم فقد اتخذت الدولة العثمانية في هذا الخط خطوات إصلاحية إيجابية لخير رعاياها فاقر السلطان كافة المبادئ والضمانات التي وردت في خط كولخانة وان تكن ثمة اختلافات فخط همايون سنة ١٨٥٦ كان اكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب اجراؤها ولم يبدو انقسام الشخصية الذي اتضح في خط كولخانة منا ان صيغته كانت اكثر عصرية واقتباساً عن العرب بصورة لم تعهده من قبل في الوثائق العثمانية. فهو لم يشهد بأية قرآنية او بقوانين الإمبراطورية العثمانية. فكان المرسوم برمته يتطلع الى الامام أكثر مما يستوحي الماضي وقد جاء الخط مما لم يات في خط شريف كولخانة فيما يخص الغاء نظام الالتزام والقضاء عالرشوة والفساد، كما انه أكد من جديد تطبيق الخدمة العسكرية على المسلمين وغير المسلمين وعدم تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام.

كان السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) متحمساً جداً للإصلاح والتحديث فأنشأ قوة جديدة من المشاة سميت" نظام جديد" على يد مدربين فرنسيين وبريطانيين والمان سنة ١٧٩٤ وبلغ تعداد هذه القوة نحو (٢٣) ألف جندي و(١٦٠٠) ضابط وأنشأ مدرسة للهندسة الحربية لتخريج الضباط في سلاح المدفعية سنة ١٧٩٥ وأعاد تنظيم الشؤون المالية. وانتفتح على العرب بتعيين سفراء دائميين في العواصم الاوربية. لم يتمكن سليم الثالث من إيجاد المصلحين العثمانيين المتحمسيين ذوي التأهيل الجيد والعدد الكافي هذه الإصلاحات التي قام بها سليم كانت السبب الرئيسي للقضاء على حياته.

المحاضرة التاسعة: حكم المماليك في العراق:

مماليك العراق هم سلالة من الولاة الذين حكموا العراق منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر وتعود أصولهم إلى عدة مناطق من آسيا الوسطى (جورجيا ومن بلاد الشركس وداغستان وبلاد جبال القوقاز الأخرى)، حيث استمر حكمهم للعراق زهاء ٨٢ عاماً بولاية سليمان باشا الكبير المكنى بأبو ليلة في سنة ١٧٤٩ وانتهى بعزل داود باشا من منصب والي بغداد سنة ١٨٣١.

وقد كان مماليك العراق يشبهون نظرائهم من مماليك مصر من حيث الأصل والمنشأ، وقد تميز عهد المماليك في العراق عن ما قبله من العهود بشدة التنافس والتنازع على الحكم، حيث كان الولاة قبل عهد المماليك يتم تعيين احدهم بفرمان يصدره السلطان العثماني من الباب العالي في إسطنبول اما في عهد المماليك فقد تغير الحال اذ اصبح الفرمان السلطاني قليل الأثر في تعين الولاة وفي بعض الأحيان لم يكن له أي اثر على الاطلاق اذ كان التنازع بين المماليك يعتبر الأثر الأكبر في تعين أي والي فأي مملوك يستطيع ان ينال منصب والي بغداد او الوزارة كما كانوا يسمونها بالقوة اثر التغلب على بقية منافسيه من المماليك يجتمع حوله اعيان بغداد وعلماؤها ثم يكتبون عريضة الى السلطان العثماني يسترحمون منه ان يصدر فرمانه بمنح الوزارة او الولاية الى المملوك الغالب. وبلغت دولة المماليك في العراق اوج قوتها في عهد سليمان باشا الكبير والذي دام حكمه ٢٢ عاماً ما بين عام ١٧٨٠ الى عام ١٨٠٢ وحيث سمي عهده بالعصر الذهبي لدولة المماليك في العراق.

تولى داود باشا مقاليد الحكم في العراق في شباط من سنة ١٨١٧ م وواجهت داود باشا خلال سنين حكمه ثورات قامت بها العشائر العراقية المختلفة إضافة إلى دخوله في نزاع مع الدولة القاجارية في فترات مختلفة من سنوات حكمه التي امتدت على مدار ١٤ عاما. كما اهتم داود باشا بالجيش وأولى به عناية خاصة فقد قام داود باشا باستقدام المسيو ديفو كان المسيو ديفو أحد ضباط الجيش الفرنسي إبان حكم نابليون بونابرت وقد كان يعمل في تدريب جيش والي كرمانشاه قبل استدعائه للعمل عند داود باشا لتدريب الجيش. كما قام داود باشا باستحداث أول صحيفة في بغداد باسم جرنال العراق باللغتين العربية التركية وغيرها من الإصلاحات التي أحدثها الوالي في العراق والتي تشبه إلى حد ما إصلاحات محمد علي باشا إبان حكمه لمصر.

وفي سنة ١٨٢٨ م أعلنت الإمبراطورية الروسية الحرب على الدولة العثمانية وذلك دعما للثورة اليونانية التي كانت قائمة آنذاك ضد الحكم العثماني وكان من المقرر من أن يرسل داود باشا ما مقداره ٦٠٠٠ كيس من الذهب لدعم الدولة في حربها ضد روسيا ولكن داود باشا امتنع عن إرسال هذا المبلغ ففسر امتناعه هذا في الآستانة بمثابة إعلان عصيان على الدولة واعتبر كأنه تخلى عن سيده السلطان في أحرج المواقف وأساء إلى هيبته. في سنة ١٨٣٠ أرسل السلطان العثماني محمود الثاني إلى بغداد أحد رجالاته الموثقين يدعى صادق أفندي وكانت مهمته هي التخلص من داود باشا أحس داود باشا بالمكيدة التي دبرها له السلطان وبمغزى قدوم صادق أفندي مبعوثا من السلطان إلى بغداد لذلك دبر لمقتل صادق أفندي وبالفعل تم ذلك وقد كان صدى واسع في الآستانة وفي مختلف الولايات العثمانية.

كلف السلطان العثماني محمود الثاني والي حلب علي رضا باشا بإعداد جيش ضخم للهجوم على بغداد وفي أوائل شهر شباط من سنة ١٨٣١ تحرك الجيش من حلب نحو بغداد وفي أواخر شهر آذار بدأ مرض الطاعون القادم من مدينة تبريز بالانتشار في بغداد وقد أفسد ظهور هذا المرض كل الخطط التي أعدها داود باشا لمقاومة الجيش العثماني القادم من مدينة حلب. دخل الجيش العثماني بغداد يوم ١٤ أيلول من سنة ١٨٣١ م بعد حصار طويل عليها وبعد إحكام السيطرة على بغداد واستباب الأمن وضع علي رضا باشا خطة متقنة لقتل المماليك حيث تظاهر في بادئ الأمر بالرضا عن المماليك وولى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة وفي ذات يوم دعا علي رضا باشا المماليك مع جماعة من اعيان بغداد وعلمائها إلى اجتماع بحجة الاستماع لقراءة الفرمان الذي وصل مؤخراً من الآستانة ما أن شرب جميع المدعوين القهوة حتى إنهال الجنود الألبانيين الذين احضرهم علي رضا باشا بقتل جميع من كان مدعوا لهذا الاجتماع أما داود باشا فقد تم إلقاء القبض عليه وإ رساله إلى الآستانة.

المحاضرة العاشرة: اتجاهات حركة النهضة الحديثة في المشرق العربي:

نشأة الحركة العربية القومية الحديثة:

أ- النهضة الفكرية العربية:

شهد المشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطورات اقتصادية واجتماعية كبيرة انعكست اثارها في بعث نهضة فكرية شملت نختلف جوانب الحياة في المجتمع العربي. وقد مثلت هذه النهضة الإطار الفكري الذي تنامى فيه الوعي القومي العربي. وتدرج في نمائه في اتجاهات ثقافية الى أخرى سياسية عبرت عن نفسها في التنظيمات والأحزاب السياسية التي شكلت فيما بعد الحركة العربية القومية. وقد لعبت هذه الحركة دوراً بارزاً في النضال القومي ورسمت عبر مسرتها. التي اخذت بالظهور في الثلث الأخير من القرن المنصرم- طموحات واهداف الشعب العربي في التحرر والاستقلال.

وقبل التعرض للحركة العربية لا بد من بعض الإشارات السريعة بشأن النهضة الفكرية، باعتبارها الأساس الذي انطلقت منه هذه الحركة. وكما تحدده الدراسات المعنية بالفر العربي القومي فأن هذه النهضة عبرت عن عدة تيارات فكرية يمكن معالجتها بالصورة الاتية:

-التيار الحضاري:

ويمثل هذا الاتجاه بدايات النشاط الفكري العربي الذي يهدف الى تحديد الهوية القومية للثقافة والفكر العربيين، واستند في ذلك احياء الإرث الحضاري العربي الزاخر بالعطاء والابداع. وازاحة ما لحق به من دمار في العصور السابقة والكشف عن مكنوناته العلمية والإنسانية بهدف ايقاظ وعي العرب بتاريخهم وقوميتهم. وابزر من مثل هذا الاتجاه. الشيخ ناصيف اليارزجي (١٨٠٠-١٨٨١) وبطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣)، اللذان بذلاً الجهود الكبيرة في احياء التراث العربي، خصوصاً في علوم اللغة والادب محدثين بذلك نهضة واسعة في هذين الحقلين اللذين يعدان من أبرز مستلزمات النهوض القومي العربي.

-التيار الديني- الإصلاحي:

دعا هذا الاتجاه الى التوفيق بين الدين الإسلامي. ومنجزات العلم الحديث كي تتمكن المجتمعات الإسلامية من استيعاب متطلبات العصر الحديث. وقد أكد هذا الاتجاه على الرابطة العثمانية. ولعل أبرز من مثل هذا الاتجاه. جمال الدين الافغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٢٥).

-التيار الديني – القومي:

وتمثل هذا الاتجاه في الدعوة الإصلاحية التي اكدت على تغيير الأوضاع الفاسدة التي كانت تسود الدولة العثمانية، من خلال برنامج سياسي يعتمد على اساسين هما الرابطة الإسلامية متمثلة في الدين الإسلامي، بعد تنقيته من الشوائب والبدع والتقليد الاعمى، ثم الخلافة التي يجب ان تعود الى العرب من قريش باعتبارهم اجدر الأمم في حفظ الإسلام من الفساد، وذلك لمركز الجزيرة العربية ولمكانة اللغة العربية في التفكير الإسلامي. أضف الى ذلك ان الإسلام قد نجا نسبياً من المفاسد الحديثة وان البدوي ظل بعيداً عن الانحطاط الخلقي والخنوع الملازمين للاستبداد وخير من مثل هذا الاتجاه. عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨-١٩٠٢) الذي دعا الى خلافة عربية مركزها في الجزيرة العربية، ووجه فكرة الإصلاح الديني بشكل يتماشى والفكرة العربية القومية. وهو بذلك يختلف عن الافغاني لايمانه بان للعرب مكانه خاصة في برنامجه الداعي الى تأسيس الدولة النموذج. وقد ضمن أفكاره كتابيه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، و (ام القرى).

-التيارات العلمانية والاصلاحية- الاجتماعية:

كرس هذا التيار اهتمامه بالجوانب العلمية وتطور المدنية الهائل في اوربا في هذا المجال. ودعا الى تفسير الحياة وتطورها على أساس الحقيقة العلمية. وخاطب العقل العربي للاستفادة من العلوم الاوربية لما فيها من قيمة عالية. وبين ان بالإمكان استخراج نظام اجتماعي جديد من خلال الاكتشافات العلمية. وان أساس هذا النظام انما هو التحسس بالمصلحة العامة. أي الوطنية التي هي حب الوطن والمواطنين الذي يجب ان يعلو على جميع الروابط الاجتماعية الأخرى حتى الدينية منها. ودعا

الى الفصل بين الدين والسياسة كما أولى عناية كبيرة بالمسألة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي بكلمة أخرى كان هذا الاتجاه يعكس توجهاً علمانياً لإصلاح الأوضاع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. ويؤكد على الاستفادة من المدينة الاوربية في وضع النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الجديد ولعل من أبرز من مثل هذا الاتجاه شبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧) وقاسم امين (١٨٦٥-١٩٠٨) واديب اسحق (١٨٥٦-١٨٨٤) وفرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢).

-التيار القومي:

وكان الهدف الذي دعا اليه ممثلو هذا الاتجاه هو استقلال العرب عن الدولة العثمانية وتكوين دولة عربية قومية تمتد من دجلة والفرات الى قناة السويس ومن البحر المتوسط الى البحر العربي. ويكون أسلوب الحكم فيها دستورياً. والجميع من خلاله سواسيه امام القانون. واكد ممثلو هذا الاتجاه على وجود امه عربية واحدة وبأن المشاكل الدينية التي تنشأ بين أبناء اديان مختلفة انما هي بالحقيقة مشاكل سياسية تثيرها قوى خارجية لمصلحتها الخاصة. وأبرز من مثل هذا الاتجاه، نجيب عازوي (١٨٨١-١٩١٦) أحد المواطنين السوريين الذين استقروا في فرنسا، وقد ضمن أفكاره هذه كتابه (يقظة الامة العربية) المنشور باللغة الفرنسية في عام ١٩٠٥ ومن خلال نشاطه الإعلامي الذي تمثل في مجلة (الاستقلال العربي) التي اخذ يصدرها في باريس منذ نيسان ١٩٠٧ رغم انها لم تعمر طويلاً اذ توقفت عن الصدور بعد اعلان الدستور العماني في تموز ١٩٠٨.

ب- نشوء الحركة العربية القومية:

بدأت الحركة القومية العربية ، كغيرها من الحركات القومية الأخرى ، بالأدب والحركة الرومانتيكية الادبية بصفة عامه ،وذلك في شكل احياء اللغة العربية وآدابها القديمة ،وبعث ذلك المجد الكبير في التراث العربي الفكري .ولقد انشات في هذه المرحلة الجمعيات العلمية المختلفة ،وكانت اول جمعية من هذا النوع هي (جمعية الادب والعلوم) التي تأسست في بيروت عام ١٨٤٧.وقد ضمت بين اعضائها ناصيف اليازجي(١٨٠٠-١٨٧٩) الرائد الاول لحركة احياء اللغة العربية من المشاهير البلغاء في لبنان ،واسهم في اقامة النهضة العربية الحديثة بما الفة وصنفه من قصائد شعرية وكتب في النحو والصرف

والعروض والمنطق .وبطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) من سوريا من بين رواد النهضة الأوائل الذين مهدوا الطريق لنمو الأفكار واتخذ البستاني من عبارة (حب الوطن من الايمان) شعار للأشهر مجلاته . وانصب شعار نشاط الجمعية على الإفادة من التراث العربي .

في عام ١٨٥٧انشت الجمعية العلمية السورية وتميزت بانها تضم العناصر البارزة من جميع الطوائف ،المسلمين والمسيحين ،وسارت هذه الجمعية على غرار الجمعية السابقة في اهدافها واساليبها وحتى في قوانينها .وكان تأسيس الجمعية السورية اول ظاهرة من ظواهر الوعي المشترك وستحفظ بمكانتها في التاريخ كمهد للحركة السياسية الجديدة .وفيما القى ابراهيم اليازجي بن ناصيف قصائد ثورية منها بانيته المشهورة (تنبهوا واستفيقوا ايها عرب)، التي تغنى فيها بأمجاد العرب وبروعة الادب العربي ونقد التفرقة وسوء الحكم ،ودعا العرب الى الاتحاد لرفع نير الحكم العثماني. وفي الواقع بدأت الحركة القومية العربية كتعبير عن ابتعاد العرب ونفورهم من الحكم العثماني في المراحل المتأخرة من هذا الحكم ، ويعتبر ذلك دليلاً على انهيار التعايش التقليدي بين العرب والأتراك من العثمانيين . وكان انشاء هذه الجمعية يمثل اول مظهر للوعي الوطني الجماعي، وأنها كانت مهد حركة سياسية جديدة.

انحصر هذا الشعور في بادئ الامر، في اشخاص متفرقين او في جماعات من الاقلية فقط. وفي عام ١٨٥٧تشكلت في سوريا اول جمعية لها اهداف عربية باسم جمعية بيروت السرية من بعض الشبان المسحيين من حلقة بطرس البستاني. ويعتبر تكوين هذه الجمعية من الامور التي لها معزى في تاريخ القومية العربية، وقد مارست الجمعية نشاطها في لصق المنشورات التي تندد بمساؤي الحكم العثمانيين على الجدران، واعدت برنامجا للقضاء على هذا الحكم . وأصدر اعضاء الجمعية ثالث منشورات صدر الاول في الثالث من تموز ١٨٨٠ذكر بالأمجاد العربية، وتضمن المطالبة بحقوق العرب والعزم على تنفيذها حتى بحد.

اما المنشور الاخير الصادر في ٣١كانون الاول ١٨٨٠ فقد مثل في اول برنامج سياسي عربي مدون حدد مطالبهم اذ طالب بمنح الاستقلال لسوريا متحدة مع لبنان بما يضمن المصالح الوطنية والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد، ولغاء الرقابة والقيود الأخرى التي تحود دون حرية الراي والصحافة وانتشار العلم، واستخدم الوحدات العسكرية المجندة من اهل سوريا ولبنان اعاله في المهمات العسكرية الداخلية عدا ظروف القصوى

والحالات الاستثنائية .كانت هذه المنشورات التي الصقت على الجدران تهدف الى اثارة الروح الوطنية في نفوس سكان المشرق العربي والمطالبة بحقوقهم كما بينت التذمر العربي من السلطة العثمانية وسياستها اتجاه السكان العرب. وفيها تحريض واضح على الانتفاضة، والتمسك الشديد بمفاخر العرب ولغتهم والتأكيد على حقوقهم وقدراتهم الادارية والثقافية.

كانت منشورات جمعية بيروت السرية ((الوثيقة الوحيدة في هذا العصر التي ترسم لنا صورة حقيقية عن طبيعة القومية العربية واتجاهاتها في تلك الأيام)) وعلى الرغم من فشل الجمعية في تحقيق اهدافها السياسية، وفي عام ١٨٨٣بسبب الرقابة الصارمة للسلطة العثمانية، الا ان افكارها شكلت خطوه انتقال للعمل القومي العربي من المجال الفكري الثقافي الى المجال السياسي وان الفكرة السياسية العربية في صورتها البسيطة قد اظهرت على ايدي مؤسسي جمعية بيروت السرية.

وفضلاً عن تلك الجمعية ظهرت بعض الجمعيات منها السرية واخرى علنية طالبت بضرورة حصول العرب على حقوقهم في ادارة الشؤون والياتهم وحرية الري والتعبير وحرية الصحافة واستخدام اللغة العربية. وكان من أبرز تلك الجمعيات هي:

١. **المنتدى الادبي:** وهي من الجمعيات العلنية التي تأسست في اسطنبول عام ١٩٠٩ من قبل جماعة من الموظفين والنواب والادباء والطالب ولم تكن لها اهداف سياسية علنية. وتركز عمل المنتدى الاساسي في توضيح الأفكار والآراء ال في صنعها. وبذلك فانة كان ظاهرة ثقافية. وكان مدرسة للفكرة القومية ومنتدى لها ليلتقي فيه العرب من الزوار العاصمة والمقيمين فيها. وقد انشئ له فروع في العديد من المدن بالد الشام والعراق كما اصبحت له مجلة ادبية باسم (لسان العرب) حتى غدا من المراكز المهمة للقاء العربي في إسطنبول.

٢. **حزب اللامركزية الادارية العثماني:** تأسس في القاهرة اواخر عام ١٩١٢ وكان هدفه يقوم على تطبيق اللامركزية في الادارة العثمانية ومنح الواليات العربية قسطا من الاستقلال الذاتي لتتمكن من تطوير امكانيتها واصالح اوضاعها المختلفة.. ودعا الحزب الى ان تكون اللغة العربية الرسمية في الويات العربية. وان تسند معظم الوظائف في الويات العربية الى عناصر عربية، وان تستشار السلطات المحلية عند تعيين الموظفين وحصر الخدمة العسكرية في داخل الوالية في زمن السلم وتأسست للحزب فروع عديدة من الواليات العربية.

٣. **الجمعية القحطانية :** من الجمعيات السرية تأسست اواخر عام ١٩٠٩ وهدفها تحقيق مشروع جديد وجرئ في الدائرة العثمانية .وهو تحويل الدولة العثمانية الى دولتين احدهما عربية تتمتع بمقوماتها كافة والأخرى تركية ،على ان يكون السلطان العثماني على راس الإمبراطورية .وكان يقود الجمعية الضابط العربي عزيز علي المصري .اما اعضاؤها فكان اختيارهم يتم بعناية ودقة والجدير بالذكر ان معظم الأعضاء كانوا من العسكرين ومنهم من ذوي الرتب العالية في الجيش العثماني .وقد اصبح للجمعية فروع في خمسة مراكز فضلاً عن فروعها في اسطنبول . وتكمن اهمية الجمعية في الحركة العربية انها تمثل اول محاولة لضم الضابط العرب في الجيش العثماني وتنظيم جهودهم بما يخدم القضية العربية. غير ان هذه الجمعية لم تستمر طويلاً رغم نشاطها البارز لاكتشاف سرها من أحد اعضائها مما دفع الأعضاء الاخرين الى تجميد نشاطهم فانحلت الجمعية تدريجيا .

٤. **جمعية العهد العربية :** وبعد اكتشاف امر الجمعية القحطانية وتفرق اعضائها ، اسس عزيز عي المصري في تشرين الاول عام ١٩١٣ جمعية العهد .وقد سميت بالعهد الن انتماء اي عضو لها يعد بمثابة (عهد بينه وبين هللا لخدمة الوطن) .اما اهدافها فتمثلت في الحصول على الاستقلال الداخلي للأقطار العربية .اقصرت الجمعية على العسكريين ولم يقبل الا عدد قليل جدا من العناصر الموثوق بنزاهتهم .واصبح للجمعية عدد من الفروع في بغداد والبصرة والموصل وبيروت وحلب ودمشق .فاتسع نشاطها حتى اصبحت بالنسبة للضباط مثل جمعية الفتاة العربية بالنسبة للمدنيين وفي عام ١٩١٥ اتصلت الجمعيتان ،الفتاه والعهد في دمشق ووحدتها وسائلها معا ال يقاد الثورة العربية بعد اتصالهما بالشريف حسن بن علي شريف مكة وتنسيق العمل للانتفاض بوجه الاتحاديين.

٥. **الجمعية العربية الفتاه:** تأسست في اواخر عام ١٩١١ من قبل عدد من الطالب والمثقفين العرب الموجودين في باريس. وامتيازات الجمعية بدقة التنظيم وسريته لدرجة كبيرة. وتعدمن أبرز التنظيمات السياسية السرية في الحركة العربية .وكان البرنامج السياسي للجمعية يطالب بحقوق العرب ومصالحهم القومية وتطوير البالد من النواحي المختلفة في إطار الدولة العثمانية. على ان هذه الجمعية تجاوزت هذا الهدف وطالبت باستقلال العرب من الدولة العثمانية والتخلص من اي سيطرة اجنبية. وقد جاء هذا التحول بسبب سياسة الاتحاديين الذي اخذت تتجاهل حقوق العرب القومية وقد انتقل مقر الجمعية

الى بيروت عام ١٩١٣ ثم الى دمشق في العام التالي. وفيها اخذت الجمعية تمارس دورها الفعال في التخطيط للثورة العربية.

وبشكل عام فان الفكر السائد لاعضاء الجمعيات العربية السرية منها والعلنية كان في هذه المرحلة وحتى عام ١٩١٣، هو الفكر القائم على الدعوة الى البقاء ضمن الدولة العثمانية وعلى حصول العرب فيها على نوع من الاستقلال الذاتي او اللامركزية الإدارية وكان أنصار الانفصال التام يؤلفون الاقلية وقد تجلى ذلك بوضوح في المؤتمر العربي االول الذي انعقد في باريس.

٦. المؤتمر العربي الاول في باريس عام ١٩١٣:

في الوقت الذي كان فيه الاتحاديون يواصلون تطبيق سياستهم المركزية. كانت باريس تشهد تحركاً عربياً لمناقشة القضية العربية. فقد عمد عدد من المثقفين والطلبة العرب المقيمين في باريس الى عقد مؤتمر عربي عام في باريس في الحقية من ١٨ الى ٢٣ حزيران ١٩١٣ بمبادرة من الجمعية العربية الفتاة وأشراف وادارة حزب اللامركزية الادارية لتحديد الموقف العربي اتجاه سياسة الاتحاديين من جهة واطلاع الري العام العالمي على القضية العربية من جهة اخرى. ولعل من أبرز من ساهم في تنفيذ هذه الفكرة عبد الغني العريس ومحمد طيارة وتوفيق فايد وجميل مردم وعوني عبد الهادي وتوفيق السويدي ومحمد المحمصاني.

حضر المؤتمر ممثلون عن العديد من مدن المشرق العربي وشكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر، اخذت اللجنة التحضيرية على عاتقها الاتصال بالمنظمات القومية والشخصيات العربية البارزة. وقد عهدت رئاسة المؤتمر الى عبد الحميد الزهراوي ممثلاً عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية .

عقد المؤتمر أربع جلسات رسمية في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس. وانتخب الزهراوي رئيسا للمؤتمر. وحضر المؤتمر نحو ٢٥٠ مندوبا يمثلون الاقطار العربية. مع عدد من الصحفيين والمتابعين.

اتضحت اهداف المؤتمر من الخطب التي القاها المشاركون فيه والمناقشات التي دارت بين أعضائه وقد اظهرت هذه الخطبة والمناقشات ان هدف المؤتمرين هو ليس الانفصال عن الدولة العثمانية بل اصالح الدولة على اساس اللامركزية والمساواة التامة بين سكانها. ولقد اراد المؤتمرون ان يحققوا ذلك ويصلو الى الاصلاح المنشود بمساعدة الدول الأوربية. وقد تجاهلوا خلال ذلك اطماع هذه الدول في الوطن العربي والخطر التي

تؤلفه على الاقطار العربية. مؤكدين ان اساس السوء والسبب في تأخر العرب هو (عيب في نظام مجتمعنا اي في مشكلة ادارة شؤوننا العمومية، وما هو الا الحكم على القاعة المركزية) ولقد أكد المؤتمرون ولاءهم للدولة العثمانية وأعربوا عن رغبتهم في تقدمها ولكنهم حرصوا في الوقت نفسه على تأكيد ان هذا الولاء يتناسب مع طريقة معاملتها للعرب .

لقد عبر المشاركون في المؤتمر عن الوعي قومي عال عندما دعوا الى ان يكون المسلمون والمسيحيون كلاً واحدا ضمن الامة الواحدة. بل طرح بعضهم مفهوم الامة بشكل عام. وخلص المؤتمر من مناقشته الى ان العرب امة قائمة بذاتها لها ميزاتها القومية الخاصة.

وتشير اعمال المؤتمر وقراراته الى حقيقة وهو تقليص الحيز التي تشغله الأفكار الدينية في الفكر السياسي العربي قياسا على ما كان علية الامر في نهاية القرن التاسع عشر. ولكن لا ينبغي ان نفهم من ذلك ان هنالك تناقضا بين القومية والدين. بل ان كل ما في الامر ان القوميين العرب قد اتسع وعيهم القومي وازداد نضجهم فأكدوا في هذه المرحلة على أهمية الاتحاد والتضامن القومي وهدفهم من ذلك تحشيد طاقات العرب مسلمين ومسحيين في الكفاح من اجل الاهداف العربية .

كان انعقاد المؤتمر، بحد ذاته حدثا مهما في تاريخ التحرر القومي العربي، ذلك انه يؤشر مرحلة جديدة في نضال العرب التحرري تميزت بالتضامن الكفاحي بين مختلف فصائل الحركة العربية.

وافقت الحكومة العثمانية على قرارات المؤتمر ووقع مندوبها مدحت شكري بيك سكرتير حزب الاتحاد والترقي ،الذي دعي الى باريس من قبل الحكومة الفرنسية اتفاقية بهذا الشأن مع الزهراوي رئيس المؤتمر الا انها تنكرت لهذه المطالب بإصدار مرسوم سلطاني اختزلت فيه المواد الاتفاقية اختزالا شديدا كما شدد الاتحاديون من سياستهم المعادية للعرب فاتخذت في 24 كانون الثاني ١٩١٤ جملة مقررات مناهضة للاماني العربية ،والاسراع بتنفيذ سياسة التتريك ومقاومة الحركة الاصلاحية والغاء الاحزاب العربية وتشديد مقاومة دعاة الانفصال واخضاعهم لرقابة مشددة .مع ذلك ظل بعض العرب يؤكدون رغبتهم في البقاء ضمن الدولة العثمانية ويأملون في ان ينال العرب حقوقهم من الحكومة العثمانية.

المحاضرة الحادية عشر: إثر الحرب العالمية الأولى على مستقبل العرب:

المقدمة:

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بجانب دول الحلف المركزي وذلك تنفيذا للمعاهدة السرية المعقودة بينها وبين المانيا في ٢ اب سنه ١٩١٤ هذا مع العلم ان الاستعدادات العسكرية العثمانية قد بدأت قبل اربعة اشهر تقريبا من دخول الحرب رسميا .اذ شرعت بإعلان النفير العام في ٣ اب سنة ١٩١٤ وقد خلفت حادثة ضرب الموانئ الروسية في البحر الاسود من قبل القطعات الحربة العثمانية في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ الموقف الذي ادى الى دخول الدولة العثمانية الحرب فقد اعلنت روسيا الحرب عليها في ٤ تشرين الثاني ،وتال ذلك اعالن حرب مشابهة من جانب بريطانيا وفرنسا بعد يوم واحد.

لقد مر الوطن العربي خلال الحرب العالمية الأولى بمساومات دولية سرية وأخرى علنية بين الحلفاء من اجل تقرير مستقبل المنطقة. تمثلت الأولى منها بمفاوضات الشريف حسين –مكماهون وتمثلت الثانية باتفاقية سايكس –بيكو. كما تمثلت الثالثة ب (تصريح بلفور). وقد اضطر الحلفاء كذلك الى اصدار وعود علنية، كما سنرى. والفرات الى قناة السويس ومن البحر المتوسط الى البحر العربي ويكون اسلوب الحكم في تلك الدولة دستوريا. وجميع المواطنين متساوون امام القانون. وقد تضمن عازوري افكاره في كتابة (يقظه الامة العربية) ومثل ابو الهدى (١٨٤٩–١٩٠٩) الاتجاه الديني الرجعي التي اعتمدته السلطة العثمانية بأهمية خاصة وقد كان الصيادي صوفيا رجعيا، وكان يطالب بوجوب طاعة السلطان. وكرس كل جهدة لمدح عبد الحميد الثاني، وبذلك يكون ابو الهدى الصيادي زعيم التيار الداعي الى الخالفة العثمانية والمدافع عن الاوضاع القائمة في الدولة العثمانية والداعي الى دعم السلطان عبد الحميد الثاني.

الثورة العربية الكبرى (نبذة تاريخية)

خضع المشرق العربي لظروف الحرب العالمية الأولى بعد اشتراك الدولة العثمانية فيها الى جانب المانيا وامبراطورية النمسا والمجر، فقد تحملت المنطقة العربية جزءا من اعباء الحرب وماتقتضية من التزامات وامكانيات عسكرية واقتصادية. فضلاً عن جعل المنطقة ساحة عمليات للقوات العثمانية التي كانت تهدف للسيطرة على قناة السويس وانتزاع مصر من السيطرة البريطانية.

وشهدت المنطقة العربية ايضا تطورات سياسية داخلية تمثلت بتصاعد نشاط الحركة القومية العربية تمارس دورها السياسي لتحديد رؤيتها من المستقبل من خلال التأكيد على استقلال العرب ومنح اي تدخل أجنبي للسيطرة على البالد العربية .

لقد وجد القوميون العرب ضرورة التعاون مع الشريف حسين بن علي شريف مكة وترشيحه لزعامة الثورة لمكانته الدينية بين العرب والمسلمين باعتباره من سلالة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله علية وسلم من جهة والعلاقة المتوترة للشريف حسين مع الزعماء الاتحاديين من جهة اخرى. فجرت اتصالات بين جمعيتي العهد والعربية الفتاة والامير فيصل بن الحسين ممثل عن والدة وتمخضت هذه الاتصالات بشكل نهائي عن ميثاق دمشق الذي اتفقت علية الحركة العربية، وسلمته الى الامير فيصل ليسلمه لوالدة للعمل بموجبة كأساس للاتفاق مع بريطانيا والحصول على دعمها لاستقلال العرب. ولعل أبرز نقطتين اوردتها الوثيقة استقلال العرب استقلال كامل بعيدا عن اي تدخل أجنبي، اذ ورد بالميثاق ما نصة وهو ((اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية)) ضمن حدود وضحتها الوثيقة وإلغاء الامتيازات الاستثنائية التي منحت الأجانب بمقتضى نظام الامتيازات الاجنبية، وعقد معاهدة دفاع مشترك بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة. أدت تك الاتصالات بين الامير فيصل بن الحسين وزعماء العرب وبعض أعضاءه جمعيتي العهد والعربية الفتاة الى تحويل الشريف حسين بن علي التفاوض مع الحكومة البريطانية حول وضع الدولة العربية المستقلة فجرت مراسلات بين الطرفين، الشريف حسين ممثلاً عن العرب والسير هنري مكماهون القنصل البريطاني في مصر ممثلاً عن حكومته. وكانت فاتحة المراسلات المتبادلة بين الجانبين في ١٤ تموز عام ١٩١٥ وانتهت في ١١ اذار ١٩١٦ وسميت بمراسلات حسين مكماهون وكان جوهر المراسلات مطالبة القوميين العرب باستقلال البلاد العربية واعتراف بريطانيا بهذا الاستقلال.

فكانت واحدة من اهم ما تضمنت مراسلات "حسين– مكماهون" ان يعلن الثورة ضد الدولة العثمانية، ويسهم في دعم الموقف العربي ضد الدولة العثمانية وقواتها، كما تضمن ميثاق دمشق والذي اسندت عليه المراسلات على خلع طاعة الدولة العثمانية واقامة دولة عربية، وبعد عدة اشهر انهى الشريف حسين كل احتمالات التفاهم مع الاتحاديين فاعلن الثورة في ٩شعبان ١٣٣٤هـ ١٠حزيران ١٩١٩م حيث اطلق رصاصته الاولى بإعلانها في مكة لتتسع الى بقية انحاء الحجاز اذ اكتسحت من شباك غرفته ايذاناً القوات العربية تدعمها مساعدات بريطانية معظم مواقع الجيش العثماني حيث تمت السيطرة على مكة في ٩ تموز وبعد شهرين حرر العرب عدة ثغور على البحر الاحمر وفي ٢٣ايلول استسلم العثمانيين ن في الطائف وتمت السيطرة على ميناء العقبة.

وفي عام ١٩١٧ انضم للجيش العربي عدد من الضباط الوطنيين من سوريا وفلسطين ممن كانوا يخدمون في الجيش العثماني وتطوع كثير من العرب في الثورة كذلك عدد من الضباط البريطانيين كخبراء تدريب وتعليم فنون القتال وقد ركزت الاضواء على الضابط البريطاني الجنرال ادموند اللنبي " لورنس العرب" وعمل كمستشار للملك فيصل وتولى قيادة احد جيوش الثورة الثالث الى جانب الامير علي وعبد الله وتحركت بعد ذلك الجيوش الى الاستيلاء على دمشق وواصلت زحفها ودخلتها في الاول من ودخل فيصل معلنا فيها وكانت اخر نقطةً تشرين الاول ١٩١٧ قيام الحكومة العربية وصلت اليها الجيوش العربية هي شمالاً قبل اعلان هدنة مودرس في ٣٠تشرين الاول 1918وقد اعتبرت الثورة العربية احد ابرز نتائج الحركة القومية العربية بشكلها المعاصر وختام مرحلة النهضة العربية في القرن التاسع عشر.

الثورة العربية الكبرى ١٩١٦:

في العاشر من حزيران ١٩١٦ أطلق الشريف حسين بن علي شريف مكة الرصاصة في مكة المكرمة ايذاناً الاولى من قصره على الثكنة العسكرية ببدأ الثورة العربية الكبرى، بدأت الثورة من مكة واستمرت عامين اكتسحت فيها القوات العربية بمساعدة الحلفاء معظم مواقع الجيش العثماني في الحجاز وقد كان قيام الثورة يعد الى مجموعة من العوامل تفاعلت فيما بينها واهم هذه العوامل:

١. ان الاتحاديين سلبوا سلطة السلطان وحقوقه في اختيار المرشحين للمناصب الكبرى كمنصب الصدر الاعظم وشيخ الإسلام.

٢. التلاعب بأموال الدولة وأثقلوها بالديون .

٣. زج الدولة العثمانية في حروب اوربية خرجت منها خاسرة استنزفوا فيها ثروة الدولة واتخذوا من هذه الحروب ذريعة للتنكيل بكل من يخالف سياستهم.

٤. ضياع الكثير من واليات الدولة العثمانية التي كانت خاضعة لها مثل البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب.

٥. اثار الاتحاديين الاحقاد بسبب سياسة تتريك شعوب الدولة العثمانية مما اوجد فجوة بين العرب والاتراك – والارمن والاتراك.

٦. اضطهاد العرب ومحاولة الغاء اللغة العربية في جميع الواليات العربية ومنع استخدامها في المدارس والدواوين والمحاكم وهذا يعني قتل الإسلام.

٧. انحراف الاتحاديين عن الدين وذلك بتشجيعهم الفئة التي تهاجم الإسلام.

٨. انتهاز الاتحادين اعالن الاحكام العرفية فعملوا على اعدام كبار رجال العرب في الفكر والسياسة حتى لا يطالب العرب بأي حقوق.

٩. مصادرة ممتلكات واموال الكثير من العائلات العربية واخراجهم من ولاياتهم الى الاناضول لأسباب سياسية.

١٠. تعرض الحجاز وسكان الحرمين للظلم والاضطهاد وتجنيد القوات العسكرية لمحاصرتها وكان هدف الاتحاديين من ذلك القضاء على الدولة العربية في موطنها .

١١. سياسة الاتحاديين بعد انقلاب ١٩٠٨ تجاه العرب ازدادت سوءً لاسيما مع بداية الحرب العالمية الأولى عندما عينت الحكومة الاتحادية " جمال باشا" قائداً للجيش العثماني الرابع في سوريا وبعد فشل حملته على قناة السويس قام بألقاء القبض

على عدد من زعماء الحركة العربية وتوجيه تهم الخيانة لمطالبتهم بالحكم اللامركزي واصدار احكام الإعدام بحقهم.

تقييم الثورة العربية الكبرى

على الرغم من اعتراف العثمانيين في مراسلاتهم بأهمية الثورة ودورها الفعال والمؤثر على انهيار الدولة العثمانية والتوقيع على هدنة مودرس مع الحلفاء في 30 تشرين الاول ١٩١٨والتي ادت الى انتهاء الحرب العالمية الأولى الا ان هناك العيد من الباحثين من قلل من شأنها ولم يعتبرها ثورة عربية قومية قامت باسم العرب وعبرت عن مطالبهم وانما اعتبرها تمرد من جانب الشريف حسين على الدولة العثمانية بسبب طمعه في الخلافة والاستقلال وعلى سبيل المثال اذا اخذنا ما كتبه ساطع الحصري في كتابه(محاضرات في نشوء الفكرة القومية) عن الثورة حين يقول "الشك في ان عدم قيام الثورة ما كان يؤثر في اتجاه الحرب ونتائجها تأثيراً الن الثورة العربية ادت دورا بارزاً في الحرب يذكر" وهذا القول مخالف للواقع ومكنت الحلفاء من الانتصار والشواهد كثيرة بعضها جاء باعتراف الفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا على صلة بهذه الثورة وباشروا مهام التعاون معها وهذا ماكده وزير الخارجية البريطاني لويد جورج خلال الجلسة السرية(لمؤتمر الصلح عام ١٩١٩) بقوله "ان معونة العرب لنا خلال الحرب كانت امرا ال نتخلى عنه" ويؤكد هذا القول رئيس البعثة العسكرية الفرنسية ف الحجاز بقوله ان هناك تقرير قدمته لوزارة الحربية عام ١٩١٦جاء فيه "ان ثورة عربية ضد السيادة التركية امر يخدم المصالح الفرنسية وان ثورة الحجاز قدمت خدمة كبيرة لقضية الحلفاء"

اما لورنس*في كتاب (اعمدة الحكم السبعة) يؤكد اهمية الدور الذي ادته الثورة العربية مما جعله يحس بالتريث نتيجة معرفته بعدم الحلفاء للعرب مثل اخالص العرب لهم حيث وصف الثورة "بأنها كانت عزما الاتراك وانزال الهزيمة بهم حيث على طرد ان العرب يمتلكون العزم وباستطاعتهم الوصول ليس لدمشق فحسب بل الى القسطنطينية" اما الامير مصطفى الشهابي في كتابه "محاضرات في الاستعمار عن الثورة العربية" بقوله"ان الثورة كانت اليقظة الحديثة اول عمل عظيم قام به العرب الاستقلال الحجاز واعتراف الحلفاء للعرب بكيانهم القومي وبلغتهم العربية في الشام والعراق فالثورة العربية حفظت جانباً من اهدافنا القومية"

*هو توماس ادوارد لورنس ضابط بريطاني عرف بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية الكبرى ١٩١٦.

المحاضرة الثانية عشر: اتفاقية سايكس – بيكو وأثرها في مستقبل العرب:

كانت الدول الاوربية، بريطانيا وفرنسا وروسيا، تسعى منذ القرن التاسع عشر، في الاقل لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية. وقد شجع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا وامبراطورية النمسا والمجر، تلك الدول لتحقيق مطامعها في اراضي الدولة العثمانية. فجددت روسيا مطامعها بالسيطرة على اسطنبول ومضيقي البسفور والدردنيل، فيما طالبت فرنسا ببلاد الشام، وبدأت بريطانيا تزيد من خططها لضمان مصالحها التقليدية في المنطقة.

ولتحقيق تلك الاهداف والاطماع بدأت في اذار ١٩١٥, مفاوضات تمهيدية فيما بينها بهذا الشأن، واستمرت تلك المفاوضات ما يقارب العام، حتى اسفرت عن عقد اتفاقية، سايكس – بيكو، نسبة الى كل من المندوبين السياسيين السير مارك سايكس عن الجانب البريطاني، والمسيو جورج بيكو عن الجانب الفرنسي، وتم التوقيع على الاتفاقية رسميا في ١٦ ايار ١٩١٦ احتفظت كل دولة بموجبها بما يأتي وقد لونت الاقطار العربية بالألوان لكل دولة:

أ- المنطقة الزرقاء تكون لفرنسا وتشمل القسم الاعظم من بلاد الشام (سوريا ولبنان) وبحصة من جنوب الاناضول ومنطقة الموصل في العراق.

ب- المنطقة الحمراء تكون لبريطانيا وتتألف من شريط يمتد من اقصى جنوب سوريا عبر العراق اذ يشمل ولايتي بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا وهي تضم ايضا مينائي حيفا وعكا مع جزء صغير من المنطقة الداخلية.

ج- المنطقة البنية وتشمل فلسطين وتم الاتفاق بان تبقى تحت الاشراف الدولي الخاص.

د- اما روسيا فقد فضلت ان تكون ارمينيا كلها ومضيقي البسفور والدردنيل لها.

بعد سلسلة مداخلات بين بريطانيا وفرنسا، خاصة بعد الصراع بين الدول الثلاث حول ادارة فلسطين وشؤونها مع اهتمام بريطانيا بإدارة فلسطين ضمن مخطط استعماري

وبالتعاون مع الحركة الصهيونية لأنشاء دولة يهودية في فلسطين لتكون خليفة لبريطانيا وعلى مقربة من مصر وقناة السويس، ولعدم قيام دولة عربية في سوريا والعراق.

كانت اتفاقية سايكس بيكو مثالا صارخا على مكر وخداع وجشع الدول الكبرى اذ ادت دورا خطيرا في تدمير صورة المستقبل العربي الذي كافح من اجله العرب في الوحدة والاستقلال وتلاعبها بمقدرات الشعب العربي. ولعبت دوراً خطيراً في تدمير صورة المستقبل العربي الذي كافح من اجله العرب في الوحدة والاستقلال. فوحدة المشرق العربي كانت موجودة بكامل مقوماتها القومية والتاريخية، وحافظت على بقائها رغم ما عانته في العهد العثماني، ولم يكن امام العرب الا ان ينتظروا نضوج الظرف والعمل على تنفيذ ما تصبو اليه أنفسهم وقد تبلورت امالهم القومية وتصاعد نشاطهم كلما أدركوا طبيعة الأوضاع التي اخذت تحل في الدولة العثمانية. والاخطار المحدقة بمستقبلهم جراء تكالب الدول الاستعمارية التي كثفن من نشاطها وخططها لتقسيم الممتلكات العثمانية. وضعوا لحماية مستقبلهم وضمانه قراراتهم موضع التنفيذ الحرب العالمية الأولى وانتفضوا لنيل الاستقلال وتحقيق وحدتهم.

ان الخطورة لا تكمن فيما حققته اتفاقية سايكس- بيكو في حينها من مكاسب استعمارية وخطيرة في مستقبل الوطن العربي حيث تحول الى اجزاء متناثرة وأصبح التمزق والقطرية ظاهرة موجودة بين اقطار الامة الواحدة. كما كان من نتائج هذه الاتفاقية ان خلقت كياناً غريباً على الوطن العربي ذلك هو الكيان الصهيوني في فلسطين يكون جسراً لعبور الامبريالية للمنطقة ويقوم بتنفيذ سياستها الرامية في تمزيق الوطن العربي الى كتل ومواقف متضاربة وبالتالي اخضاعه ونهب خيراته.

ولا تحتاج هذه الحقيقة الى تفصيل اذ ان وقتنا الحاضر لدليل واضح على ما تركته هذه الاتفاقية من آثار سيئة في واقع العرب وتطلعاتهم للمستقبل.

ظلت اتفاقية سايكس- بيكو امرا سريا حتى تم كشف بنودها من قبل زعماء الثورة الروسية في تشرين الثاني ١٩١٧, وكان ذلك فضيحة بالنسبة لبريطانيا وفرنسا.

العرب ومؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩:

أ- عرض القضية العربية أمام المؤتمر:

ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى شرعت الوفود الدولية تتجه صوب باريس حيث مقر انعقاد مؤتمر الصلح الذي تقرر عقده بداية عام ١٩١٩ لتسوية المشاكل الناجمة عن الحرب وقد مثل العرب في هذا المؤتمر الأمير فيصل الذي رشحه والده ممثلاً عن مملكة الحجاز التي دعيت لحضوره المؤتمر من قبل بريطانيا بصفتها حليفة ساهمت في الحرب.

لقد كان موقف فيصل حرجاً للغاية سراء بالنسبة له أو للحلفاء إذ لم تكن هناك فكرة لدى فيصل عن مفهوم الحلفاء لمركز والده. فقد أراده هؤلاء أن يكون ممثلاً عن مملكة الحجاز بينما أراد فيصل إن يكون ممثلاً عن مملكة الحجاز والبلاد العربية. وهنا ارتطم الوفد الحجازي بواقع السياسات الدولية خاصة بالنسبة لكل من انكلترا وفرنسا ومطامعها في البلاد العربية. ناهيك عن المشكلة الفلسطينية والانتداب على البلاد العربية وهذا ما تمل في نشاطات فيصل في باريس. واجه فيصل منذ وصوله الأراضي الفرنسية في ٢٦ /١١/١٩١٨. موقفاً فرنسياً مجافيا. كما واجه فيصل التفافاً مكثفاً من قبل المسؤولين البريطانيين والزعماء الصهاينة لتوقيع على اتفاقية تفسح المجال أمام الاستيطان اليهودي في فلسطين. غير أن الأمير فيصل لم يكن يملك الصلاحية ألا ما أمر به والده في الإصرار على الوعود البريطانية للعرب لذا فأنه عالج الموقف بأسلوب لا يفتقر إلى الفطنة، فجعل موافقته على استيطان اليهود في فلسطين مرتبطة بإنجاز بريطانيا لعهودها التي قطعتها في أمر استقلال البلاد العربية بما فيها فلسطين طبعاً.

ب - الموقف العربي تجاه الأطماع الفرنسية والبريطانية:

ترك فيصل باريس إلى سوريا دون أن يتوصل الى نتيجة بشأن مستقبل البلاد العربية وفي مقدمتها مستقبل بلاد الشام، بعض أبعاد الموقف البريطاني والفرنسي أصبحت واضحة لإثارة سخط العرب ودفعتهم لاستئناف النشاط القومي ضد بريطانيا وفرنسا هذه المرة. فقد تقدم جماعة من الزعماء العرب باقتراح لتشكيل مجلس وطني كواجهة للتصدي للمخططات الاستعمارية وكان مدبرو هذا الاقتراح أعضاء حزب حديث التكوين يسمى بحزب الاستقلال العربي ولم يكن سوى جمعية العربية الفتاة في لباس جديد. وقد حظيت بتأييد

فيصل الذي حاول توجيهها وجهة دستورية. وتمكنت هذه الحركة من أجراء الانتخابات في كامل سوريا بما فيها لبنان وفلسطين وشكلت في ضوء ذلك المجلس الذي سمي منذ عندئذ باسم المؤتمر السوري العام في دمشق في ١٩١٩/٧/٢. وقد أجتمع هذا المؤتمر عدة اجتماعات لدراسة الموقف الجديد وخرج بمجموعة من القرارات التي تحدد الأهداف القومية فيما يتصل بسوريا وفلسطين والعراق وأقرت بإجماع لا مثيل له. وقد جاءت هذه القرارات في عشر مواد نذكر إيجازها بما يأتي:

١- الاعتراف باستقلال سوريا بما في ذلك فلسطين دولة ذات سيادة على رأسها الأمير فيصل ملكاً والاعتراف باستقلال العراق.

٢- الغاء اتفاقية سايكس – بيكو ووعد بلفور وأي مشروع لتقسيم سوريا وإنشاء دولة يهودية في فلسطين

٣- رفض الوصاية السياسية التي تضمنتها النظم الانتدابية المقترحة وقبول المعونة الاجنبية لفترة محدودة على شرط أن لا تتعارض مع الاستقلال الوطني والوحدة القومية.. وتفضل المعونة التي تقدمها أمريكا فأن لم تتيسر فالمعونة البريطانية.

٤- رفض المعونة الفرنسية في أي شكل جاءت.

ج – لجنة كنج – كرين:

كانت الدول الكبرى قد اتفقت على أن تعين كل دولة من جانبها عضوين يمثلانها في اللجنة التي اقترح إرسالها إلى سوريا. وأختار الرئيس ولسن الدكتور هنري كنج رئيس كلية أوبرك الأميركية والمستر تشارلس كرين الذي أهلته لتلك المهمة تجربته الواسعة واستقلاله في النظر. أما الحكومة البريطانية فقد عينت السير هنري مكماهون والقائد د. ج. هو غارث وهما من كبار المسؤولين البريطانيين في القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى. ولم تبد الحكومة الفرنسية ميلاً للمبادرة لاختيار ممثليها. وقد تخلت بريطانيا هي الأخرى فيما بعد عن مشاركتها في اللجنة فاقتصرت على العضوين الأميركيين ومن هنا جاءت تسميتها بلجنة كنج – كرين.

وصلت اللجنة إلى سوريا في ١٠ حزيران ١٩١٩ وقد قامت بتحقيق وافٍ في معظم الولايات التي تشكل بلاد الشام حتى انتهت من أعداد التقرير وسلمته إلى سكرتارية الولايات المتحدة في باريس في ٢٨ أب ١٩١٩ في حين رفعت نسخة منه إلى الرئيس ولسن في فترة لاحقة.

عبرت اللجنة عن إيثارها نظام الانتداب على سوريا فلسطين والعراق على شرط أن يكون الانتداب لمدة محدودة وأن يهدف إلى إيصال البلاد الخاضعة له إلى مرحلة الاستقلال بالسرعة التي تسمح بها الظروف وأوصت إن يعتبر العراق قطراً واحداً وأن تظل سوريا (من ضمنها فلسطين) وحدتها كذلك على إن يمنح لبنان الحكم الذاتي داخل أطار الوحدة السورية. وان يكون للعراق انتداب واحد ولسوريا وفلسطين انتداب واحد وأن يكون الحكم في كل منهما ملكياً دستورياً فيصبح فيصل ملكاً في سوريا وينتخب سلطان عربي أخر عن طريق الاستفتاء لحكم العراق. اما بشأن فلسطين فقد اوصيا بتحديد المطامع الصهيونية لقد كان من المتوقع وان يأخذ تقرير اللجنة الى المعنيين للعمل بمضمونة الا انه اورع في زاوية أحد الادراج وأغفلوا امرة ولم يعمل به حتى في واشنطن نفسها.

المحاضرة الثالثة عشر: مؤتمر سان ريمو ونظام الانتداب:

أ. فرض الانتداب على اقطار المشرق العربي

اقدمت بريطانيا والدول الاوروبية على فرض الانتداب على الاقطار العربية بغية سرقت ثرواتها وتسخير الطاقات البشرية خدمة لمصالحها في المنطقة لهذا دعا لويد جورج الامير فيصل في اب ١٩١٩ لزيارة لندن من اجل إقناعه لقبول السيطرة الفرنسية على لبنان لقد كان هدف لويد جورج قبول الامير فيصل التفاوض مع كليمنصو بالرغم من إدراك بريطانيا لأهداف فرنسا بالسيطرة على بلاد الشام.

ويبدو ان بريطانيا بهذه السياسة ارادت التملص من التزاماتها تجاه البلاد العربية وهكذا اضطر فيصل الى الاتفاق مبدئيا مع كلمينصو في تشرين الثاني عام ١٩١٩ وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تستعد للانسحاب من المنطقة. اثارت هذه السياسة سخط ابناء سوريا وهكذا قادت هذه الامور الى انعقاد المؤتمر السوري في ٨ اذار عام ١٩٢٠، وأصدر قراراً أعلن فيه استقلال سوريا بما فيها فلسطين ولبنان دولة ذات سيادة وملكية دستورية على رأسها الملك فيصل وفي الوقت نفسه اجتمع الشعب العراقي وطالبوا باستقلال العراق وجعل الامير عبد الله ملكا عليهم.

رفضت بريطانيا هذه المطالبات واقدمت على عقد اجتماع لدول الحلفاء في مدينة سان ريمو في ايطاليا في ١٩ نيسان ١٩٢٠ وقد تم حسم الامور فيه لصالح بريطانيا وفرنسا في المشرق العربي. كان الهدف الرئيس من المؤتمر موافقة الطرفان المتعاقدان على ان تكون سوريا والعراق وفقا للفقرة الرابعة من المادة٢٢ من الجزء الاول من ميثاق عصبة الامم بلدين مستقلين معترفا بهما اعترافا مؤقتا على ان تتلقيا العون والمشورة في الادارة منن قبل دولة منتدبة الى ان يحين الوقت عندما تجد الدولتان انهما بغنى عن مثل هذا العون والمشورة)) وهكذا تم توزيع الانتداب سوريا ولبنان من حصة فرنسا والعراق وفلسطين من حصة بريطانيا. وعليه فقد كان نظام الانتداب الجديد سوى بديل عن الاستعمار القديم.

ب- المواجهة العربية لقرارات سان ريمو:

لقد كانت قرارات سان ريمو ترسيخاً للاتفاقات السرية التي عقدت أبان الحرب وتنسيقاً للمصالح الاستعمارية وتثبيتاً لواقع الاحتلال العسكري. وعلى أية حال ما كاد المؤتمر ينقضي حتى بدأت العلاقات بين الفرنسيين والعرب تزداد سوءً كنتيجة طبيعية لتطور الموقف، وكرد فعل للًاستهانة التي عبرت عنها سياسة الحلفاء على أحسن الوجوه في قرار المؤتمر الأخير.. فبدأت الصدامات تتلاحق بين القوات العربية والفرنسية حتى اتخذت طابع الواجهة الحقيقية في تموز ١٩٢٠، حينما وجه الجنرال (غورو) قائد لقوات الفرنسية في لبنان في ١٤ من نفس الشهر إنذاره النهائي، لفيصل ملك سوريا، الذي تضمن خمسة شروط كان على العرب الامتثال لها خلال أربعة أيام وإلا ستكون الحكومة الفرنسية مطلقة اليد في العمل. أما الشروط التي تضمنتها فهي:

١- تسليم سكة حديد رياق – حلب إلى السلطة العسكرية الفرنسية. وهذا سيجر في أثره احتلال الفرنسيين لمدينة حلب، ومحطات رياق وبعلبك وحمص وحماه.

٢- إلغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي.

٣- قبول الانتداب الفرنسي قبولًا غير مشروط.

٤- تداول العملة التي فرضتها الإدارة الفرنسية.

٥- معاقبة الأشخاص الذين عرفوا بالتورط في " الأعمال العدائية " ضد الفرنسيين.

حيث تقدمت القوات الفرنسية باتجاه دمشق وتمكنت في ٢٤ تموز ١٩٢٠ من التغلب على المقاومة العربية بفضل الأسلحة والإمكانيات العسكرية التي كانت تمتلكها القوات الفرنسية. وكانت المعركة الفاصلة التي حسمت الموقف وفتحت الباب إلى دمشق هي (معركة ميسلون) حينما اصطدمت القوات العربية التي كان يقودها يوسف العظمة وزير الدفاع بالقوات الفرنسية الزاحفة عند ممر ميسلون. غير أن الوقفة البطولية للمقاومة العربية لم تفلح في إيقاف القوات الفرنسية ذات الإمكانيات الضخمة فأستشهد الكثير من المقاتلين العرب وفي بدايتهم (يوسف العظمة). فسقطت بذلك الحكومة العربية في دمشق وغادر فيصل سوريا في ٢٨ تموز متجها إلى أوربا بهدف مواصلة النشاط السياسي بشأن القضية العربية.

وعلى اية حال– وبالرغم من التطورات الأخيرة– فان الاحداث كانت تسير بالاتجاه العام الذي رسمته اتفاقية سايكس –بيكو. فأصبح العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب

البريطاني في حين واجهت سوريا الانتداب الفرنسي. فكان هذا هو حال البلاد العربية وهي تنفض عنها غبار الاحداث المزدحمة لتواجه مرحلة جديدة من التطورات السياسية.

المحاضرة الرابعة عشر: الاحتلال البريطاني للعراق أسبابه وطبيعة الإدارة البريطانية ١٩١٤-١٩٢٠

*** اسباب الاحتلال البريطاني للعراق:**

ان اهمية العراق الاستراتيجية كان من اهم العوامل التي ساعدت البريطانيين على احتلاله، اذ ان موقع العراق على الخليج العربي الذي هو جزء من طريق الهند البري الحيوي لمواصلات الامبراطورية البريطانية، وفي مطلع القرن العشرين بلغت اهمية العراق الاستراتيجية درجة كبرى، نتيجة لاكتشاف النفط في عبادان – إيران المجاورة للعراق.

كما ان المصالح الاقتصادية كانت سببا اخرا لاحتلال العراق، فهناك المصالح الاقتصادية التي تركزت على شراء المواد الاولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول، وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالراسمال الاجنبي.

وقد دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيين الى اعتبار وادي الرافدين مجالا حيويا للنشاط السياسي والاقتصادي البريطاني. وتأكيدا لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى.

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى في اب ١٩١٤ وتعاطف الدولة العثمانية مع المانيا بدأت بريطانيا تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على احتلالها للخليج العربي ، وفي ٥ اب من العام نفسه انحازت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب ، فصدرت التعليمات البريطانية لتوجه قواتها الى الفاو جنوب العراق ، وفي عشية الغزو البريطاني للعراق اصدر السير برسي كوكس – الضابط السياسي البريطاني المرافق للقوات البريطانية– بيانا زعم فيه ان حكومته قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي للعثمانيين ، لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء العثمانيين من المنطقة وان لا عداء لها مع العرب شريطة الا يحموا الجنود العثمانيين ولا يحملوا السلاح في تجوالهم ، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي ان يتوغل بسهولة .

نزلت القوات البريطانية في الفاو بساعة متاخرة من يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيين الى الانسحاب، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شط العرب.

استمر التقدم البريطاني حتى وصل الى البصرة واحتلها في ٢٢ تشرين الثاني ورفع العلم البريطاني فيها، واقامت المعسكرات فيها وتم مطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة، واحتلتها في ٩ كانون الاول ١٩١٤.

بعد دخول القوات البريطانية القرنه استمرت بتقدمها نحو الشعيبة وتقهقرت القوات العثمانية نحو العمارة والناصرية، واتجهت قوة بريطانية برية ونهرية في دجلة الى العمارة فاحتلتها في ٢ حزيران ١٩١٥، كما احتلت قوة اخرى في الفرات الى الناصرية في ٢٥ تموز بعد معارك دامية، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية.

شجع احتلال البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية القادة العسكريين البريطانيين على طلب التقدم نحو بغداد ، اذ تقدمت نحو بغداد بقيادة الجنرال طاوزند الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السابقة ضعف مقاومة العثمانيين ، لكن العثمانيين اضطروا لتجميع قواتهم المندحرة وشكلوا لجنة لتحصين مدينة بغداد للدفاع عنها ، وحدثت اول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت في ٢٧ ايلول ١٩١٥ استمرت عشرين ساعة ، انتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين الى المدائن جنوب بغداد ، بعد ان خسوا ١٧ الف قتيل وجريح و١٢٨٩ اسير ، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستة اسابيع .

استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن وتعقبت القوات البريطانية المتراجعة وحاصرت البريطانيين في مدينة الكوت في ٧ كانون الاول ١٩١٥ واستمر الحصار قرابة خمسة أشهر اضطر بعدها البريطانيون الى الاستسلام في يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦، وبلغ عدد القوات المستسلمة (١٣٥٠٠) جندي عدا الضباط وأرسلوا اسرى الى الاناضول.

لم يستثمر العثمانيون الهزيمة البريطانية بل أرسلوا قواتهم الى إيران ومكن البريطانيون من تعزيز قواتهم من جديد بعد تولي الجنرال ستانلي مود قيادة هذه القوات، وتم الهجوم على العثمانيين منذ اوائل عام ١٩١٧ وبدات معارك هائلة بين الطرفين اضطر بعدها العثمانيون الى الانسحاب من الكوت الى المدائن يوم ٢٧ شباط وتحصنوا فيها، ثم دخل البريطانيون بغداد فجر يوم ١١ اذار ١٩١٧ بقيادة الجنرال مود.

واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق فاحتلوا سامراء في ٢٢ نيسان والرمادي في ٢٩ ايلول وتكريت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧، وبقي الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب

الشرقاط حتى اواخر تشرين الاول ١٩١٨ حيث عقدت هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، وافق على أثرها العثمانيون على الجلاء من مدينة الموصل ورفع العلم البريطاني عليها في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، وبذلك انتهت العمليات العسكرية البريطانية وتم احتلال العراق بعد أربع سنوات وخضع العراق للإدارة البريطانية.

***الادارة البريطانية والمقاومة الشعبية:**

دفعت حاجات الحملة البريطانية، وضرورة ملء الفراغ الذي احدثه انسحاب العثمانيين، السلطة البريطانية المحتلة الى نوع من الإدارة، وعليه فان الاسس التي قامت عليها الادارة البريطانية في العراق يمكن تلخيصها كالاتي:

١- العمل على تامين الحاجات التي يتطلبها الاحتلال بالاستيلاء على بعض الاراضي والممتلكات وتشغيل العراقيين لخدمة المجهود البريطاني.

٢- التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية تمهيدا لضمه للهند تحقيقا للسياسة الاستعمارية.

٣- محاولة التقرب من العشائر والاهتمام بإقامة العلاقات مع بعض رؤسائها والعمل على زيادة نفوذ هؤلاء الرؤساء بمدهم بالمال ومنحهم الاقطاعيات الكبيرة.

٤- العمل على ايجاد نظام اداري تتركز فيه السلطات الاساسية في ايدي الحكام والسياسيين ومعاونتهم.

٥- وضع نظام قضائي جديد يهدف الى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية والتجارية والعقابية.

٦- العمل على وضع نظام مالي يساعد في توفير الاموال اللازمة لمتطلبات جيش الاحتلال.

كان هدف الاحتلال هو ربط العراق بالإدارة الهندية او اعطائه نوعا من الحكم الذاتي، وتشغيل العمال لخدمة الجيش المحتل. وقد اقتصر موقف الشعب في البداية على الترقب والانتظار لتنفيذ الوعود البريطانية للعرب والعراق خاصة.

وخلافا للوعود البريطانية دأبت الادارة البريطانية على اقامة نظام احتلال استعماري اصبحت فيه السلطة المطلقة بأيدي القيادة العسكرية البريطانية، اما الادارة المدنية فكانت خاضعة لحكومة الهند البريطانية، وتراس تلك الادارة برسي كوكس.

عمدت الادارة البريطانية على اجراء استفتاء لتزييف ارادة الشعب العراقي وتأليف الحكومة التي تريدها بريطانيا باسمه، وجاء في الاستفتاء الامور الاتية:

١- هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بإرشاد بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج العربي؟

٢- وفي هذه الحالة هل يرون ان عاهلا عربيا اسميا يجب ان ينصب في راس هذه الدولة؟

٣- وإذا كان الامر كذلك، من الذي يفضلون تنصيبه رئيسا للدولة؟

وارفق ويلسون – المندوب السامي البريطاني – مع البيان تعليمات الى كل الحكام السياسيين في مناطق العراق المختلفة بان يبحثوا تلك النقاط بصورة سرية مع الشخصيات البارزة وخاصة مع الشيوخ البارزين لعرض القضايا المشار اليها على الحاضرين.

وبدا ويلسون بأجراء استفتاء في المناطق العشائرية والمدن بالشيوخ والملاكين من الوجهاء المتعاونين مع بريطانيا لتكون النتيجة المطالبة باستمرار بقاء الحكم البريطاني.

اما موقف الحركة الوطنية فقد تمثل بإصدار الفتاوي بان كل شخص يرغب في حكومة غير عربية مسلمة يعد خارجا عن الدين. علما ان نتيجة الاستفتاء ان هناك رايا عاما شاملا تقريبا يرى ان الموصل يجب ان تبقى ضمن الدولة الجديدة، علما ان الاستفتاء لا يمثل راي الشعب العراقي المناهض للاحتلال، فقد اختير الاشخاص المتعاونين مع السلطات البريطانية لتوقيع المضابط والمذكرات.

ولمواجهة الاحتلال البريطاني ظهرت بعض الجمعيات الوطنية وكانت اولى تلك الجمعيات (جمعية العهد العراقي) التي تأسست عام ١٩١٩ وكان لها فروع في الموصل وبغداد، تضمن برنامجها الاتي:

١- استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية.

٢- طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا على ان تكون هذه المساعدة بالثمن ولا تمس استقلال العراق التام.

٣-انهاض الشعب العراقي ليباري أرقي الامم الغربية.

٤-السعي لخير الامة العربية عامة.

اما الجمعية الثانية فهي (جمعية حرس الاستقلال) التي تأسست في بغداد نهاية شهر شباط ١٩١٩ وتضمن برنامجها الامور الاتية:

١-استقلال العراق استقلالا تاما.

٢-تشكيل مملكة عراقية يستند فيها العرش الى أحد انجال الملك حسين على ان يكون ملكا دستوريا ديمقراطيا.

٣-العمل على ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية.

٤-توحيد كلمة العراقيين وبذل اقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب.

لقيت الحركة الوطنية المقاومة من سلطات الاحتلال التي عمدت الى الشدة والعنف للوقوف بوجه الانتفاضات الشعبية التي شملت مناطق العراق المختلفة خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠.

المحاضرة الخامسة عشر: الحركة الوطنية والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠:

صمم أبناء العشائر على إطلاق سراح الشيخ شعلان أبو الجون، وتحدي قرار قوات الاحتلال البريطاني باعتقاله، فانطلقت عشائر الرميثة تهاجم السجن الذي أودع البريطانيون فيه الشيخ شعلان، وتم تحريره من الاعتقال، وكانت هذه العملية ايذاناً ببدء اشتعال نار الثورة، وبدء المعارك بين الشعب العراقي وقوات الاحتلال البريطاني.

وفي مساء يوم ٦ تموز ١٩٢٠ توجهت قوة عسكرية بريطانية تضم ٢٠٠٠ ضابط وجندي بقيادة الكولونيل دي مارفين نحو الرميثة- التي سيطرت عليها قوى الثورة في محاولة لفك الحصار عن القوات البريطانية المتواجدة هناك، فكانت معركة العارضيات التي يفتخر بها أبناء العشائر الثائرة والشعب العراقي كافة اذ لم تستطع القوات البريطانية من الوصول إلى الرميثة، نظراً للمقاومة الباسمة التي واجهتها تلك القوات، اذ تم إيقافها على بعد ٧ كيومترات منها بعد معركة دامية دامت ٤ ساعة متواصلة، استبسل فيها أبناء الشعب العراقي ، واضطر قائد الجيش البريطاني إلى التراجع والى التراجع والانسحاب نحو الديوانية.

لكن تلك القوات لم تستطع الوصول إلى الديوانية، اذ جوبهت بقطع الطريق عليها، وقلع السكة الحديدية التي كانت القوات البريطانية تستخدمها في الانسحاب وجوبهت بوابل من الرصاص من قبل العشائر الاخرى التي هبت لدعم الثورة في الرميثة ، وهرب قائد الحملة تاركاً البريطانية لينجو بنفسه تاركاً قواته تحت رحمة الثوار الذين استطاعوا قتل أعداد كبيرة منهم ، وتم أسر من بقي منهم على قيد الحياة واستولى الثوار على جميع أسلحة القوة البريطانية، وقد بلغ عدد القتلى البريطانيين زهاء ٢٦٠ فرداً.

ولما بلغ الامر إلى قائد القوات البريطانية الميجر ديمي Daily Major أمر بإعداد قوة أخرى قوامها ٥٠٠٠ ضابط وجندي مجهزين بكامل المعدات الحربية، واستعدت قوى الثورة للمعركة القادمة، وأخذت تنظم صفوفها، وترتب استحكاماتها، وتحفر الخنادق في منطقة العارضية على بعد ٧ كم من الرميثة استعداداً لمجابهة قوات الاحتلال الجديدة بقيادة الميجر كونتنكيامContnkham Major ، اذ وصلت تمك القوات إلى قضاء الحمزة في ١٦ تموز ١٩٢٠، تحت غطاء جوي من الطائرات الحرب.

وأبدى الثوار مقاومة باسمة، منقطعة النظير، وانزلوا بقوات الاحتلال خسائر فادحة في الارواح والمعدات. وامتد لهيب الثورة إلى الى الرارنجية التي ضربت مثلاً رائعاً في

البطولة والفداء، وقامت قوات الثورة بمحاصرة مدينة الكوفة في أواخر شهر تموز ١٩٢٠ من جميع أطرافها مشددون الضربات على القوات البريطانية المحاصرة فيها، والتي أصبح موقفها في غاية الصعوبة، وطلبت النجدة من القائد البريطاني في الحلة، الذي أسرع إلى إرسال قوات كبيرة لفك الحصار عن القوات المحاصرة في الكوفة.

تقدمت القوات البريطانية باتجاه المدينة حتى وصلت إلى الرازنجية ، التي تبعد ١٢ كم عن مدينة الحلة و٨ كم عن الكفل وعسكرت هناك. واستعد الثوار لملاقاة القوات البريطانية في منطقة الكفل ،وقسموا قواتهم إلى قسمين،قسم أخذ مواقعه على طرف شط الهندية الشرقي، والقسم الثاني أخذ مواقعه على امتداد سكة القطار التي تربط الحلة بالكفل،وكانت قوات الثورة مدفوعة بإيمانها بعدالة قضيتها،و قد عقدت العزم على التصدي لقوات الاحتلال المدججة بشتى أنواع الاسلحة والمعدات الثقيلة وهي لا تملك سوى الاسلحة الخفيفة من بنادق قديمة ومسدسات وفؤوس ومكاوير ،ولكنها كانت تملك الايمان بعدالة القضية التي تناضل من اجلها،والاصرار على التحرر من ربقة الاستعمار الجديد فيما كان الجنود البريطانيون الذين أتعبتهم الحرب يحاربون من أجل ملئ جيوب الرأسماليين الاستعماريين. ،وكانت المعركة تجري بالبنادق والسيوف والفؤوس والمكاوير ،وكان الثوار يرددون الاهزوجة الشعبية المشهورة ((الطوب احسن، لو مكواري)) ، فقد تغلب المكوار عمى السلاح البريطاني ،واندحرت قوات الاحتلال ،وهرب قائد الحملة تاركاً جثث المئات من أف ارد قواته في ارض المعركة .وفي الوقت الذي كانت قوات العشائر في الجنوب تخوض المعارك ضد المحتلين كان رصاص الثوار في كردستان ينطلق بغزارة ضد المحتلين هناك ،فقد هب ثوار كردستان بوجه المحتلين، ووقعت بين الطرفين معارك شرسة في السليمانية وعقره وكفري، وتمكنت قوات الثورة في كفري بقيادة إبراهيم خان في أواخر تشرين الأول ١٩٢٠ من الاستيلاء على المدينة وتحريرها من سيطرة قوات الاحتلال.

لقد امتد لهيب الثورة إلى كل بقاع الوطن، وانغمر فيها عدد كبير من رجال الدين، وشيوخ العشائر والمثقفين والعمال والفلاحين الشجعان الذين كانوا عماد الثورة، وكانت الثورة على الرغم من التأخر الذي سببه الاستعمار العثماني الطويل على درجة عالية من التنظيم والتخطيط والدقة.

ومما يجدر ذكره، إن من أشهر المعارك لثورة العشرين هي: معركة الرازنجية، حصار الكوت، معارك العارضيات والهاشميات، معارك الكفل والحلة، معارك عشيرة زوبع وقطعهم سكك الحديد بين بغداد وسامراء، معارك العشائر الكردية، لذا لم يكن الكرد في معزلٍ عن

ثورة العشرين فقد تحركت القبائل والعشائر الكردية تضامناً مع العشائر العراقية الاخرى، وهب ثوار كردستان في السليمانية و اربيل وعقرة وسنجار وخانقين وكفري التي وقعت فيها معارك طاحنة بقيادة القائد الكردي ابراهيم خان نهاية ١٩٢٠ واستولوا على مدينة كفري وقتل قائدهم (كوردن) ومعارك اشتركت فيها عشائر من (الكرد الفيليين) مع إخوانهم من العشائر العربية في ديالى ومندلي وخانقين وبدره و الحي والنعمانية والصويرة، ومعارك سنجار وتلعفر بمشاركة أتراكها ومسيحييها.

نتائج ثورة العشرين

١. على الرغم من فشل الثورة عسكرياً لفقدان التكافؤ بين الطرفيين في كل مقومات الحرب، ولكنها سجلت بعداً سياسياً في المحافل الدولية، وأصبح العراق رقماً صعباً يجب الاعتراف به كوجود والتفاهم الحواري السياسي معهُ ككيان مستقل، هذا ما جاء في مقررات مؤتمر القاهرة ١٩٢٠ الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني (ونستون تشرشل).

٢. واهم ثمار الثورة هو (البعد الوطني) بتبلور الوعي الوطني بالولاء للعراق فقط والانتماء اليه بغض النظر الى الانتماءات الفرعية كالقومية والطائفية والمناطقية، وهذا ماشار لهُ الدكتور علي الوردي في الجزء الخامس في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث:((لم تكن مفاهيم الوطنية والاستقلال وأمثالها مألوفة لدى العراقيين في الماضي غير أنها أصبحت متداولة بينهم في أثناء ثورة العشرين وما بعدها ويهتفون لها، ومن الممكن عد ثورة العشرين المدرسة الشعبية الاولى التي علمت العراقيين تلك المفاهيم ، وكانت البداية للوعي الوطني الذي أخذ يتخذ بعد ذلك بين الناس بمرور الزمن)).

٣. ومن النتائج السياسية لثورة العشرين هي حصول انتقادات واسعة في مجلس العموم البريطاني ضد سياسة بريطانيا في العراق فضلا عن الضغط الشعبي الجماهيري

الواسع ضد المحتل البريطاني والوعي للتخلص والتغيير لذلك قررت بريطانيا أن تحكم العراق بصورة غير مباشرة فوافقت على:

أ. تشكيل أول حكومة عراقية مؤقتة.

ب. إقامة ملكية عراقية وسمت لها الامير فيصل أبن الشريف حسين ملك الحجاز.

ومما تجدر الإشارة اليه، أن الثورة عبرت عن وحدة وتلاحم أطياف الشعب العراقي باثنوجغرافيتة المجتمعية، انها لم تكن صنيعة حزب أو كتلة أوّ أن طائفة وحتى لم تكن لها جغرافية محددة مقفلة بل كانت مساحتها العراق – والعراق كله، فقد أشترك الشعب العراقي بكل أطيافه وقواه الوطنية بمساحة جغرافية العراق كما ذكر لنا في هذا المجال الدكتور علي الوردي:((.. يمكن القول على أي حال ان ثورة العشرين هي أول حدث في تأريخ العراق، يشترك فيه العراقيون بمختلف فئاتهم وطبقاتهم فقد شوهدت فيها العمامة إلى جانب الطربوش والكشيدة إلى جانب اللفة القلعية والعقال إلى جانب الكلاو وكلهم يهتفون (يحيا الوطن) وهذا الحراك الوطني الشامل هو التصميم على الخلاص والتغيير بالاعتراف بدولة اسمها العراق)) ، وهنا تبرز أهمية الثورة في أفهام الشعب بنوايا بريطانيا الخبيثة في (تهنيد العراق) وألحاقه بدول التاج البريطاني (الكومنولث.)

☆قيام الحكم الملكي وتأسيس الدولة العراقية الحديثة :-

كان هناك تياران لتشكيل الحكم في العراق أما ملكي أو جمهوري وكان عدد المرشحين أمثال عبد الرحمن النقيب وعبد الهادي العمري وفيصل أبن الشريف حسين وأخوه عبد الله والشيخ خزعل أمير المحمرة، فشل التيار الذي دعى إلى النظام الجمهوري وسلطات الانتداب قاومت الدعوة إلى الجمهورية بحجة أن النظام الجمهوري يحتاج إلى شعب متقدم وإقامة نظام ملكي محاكاة للنظام البريطاني فقوبلت فكرة تأييد المرشح الهاشمي الملك فيصل الاول من لندن فتم الاتفاق على ذلك في مؤتمر القاهرة ١٢ آذار ١٩٢١م فتوج الملك فيصل ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١م

وقد واجه الملك فيصل بعد تتويجه مهام عديدة: -

١. تخليص العراق من الانتداب البريطاني وإقناع الانكليز بالتخلي عن الحكم وتسليمه للعراق.
٢. الحفاظ على الموصل التي كانت تطالب بها تركيا.
٣. إنشاء حكومة عصرية بكامل تشكيلاتها ووضع دستور حديث لها.
٤. إنقاذ العراق من الجهل والمرض والخراب والعمل على توطيد الوحدة الوطنية ومحاربة الجمود والتعصب الذي يقاوم كل إصلاح وتجديد

فوقع مجلس الوزراء المعاهدة العراقية البريطانية عام ١٩٢٢م حوت المعاهدة على مقدمة و١٨ مادة ظهر من خلالها تقييد الملك فيصل وسلطته لرضى بريطانيا فكانت صورة لصك الانتداب لأنه كانت إمكانات العراق العسكرية والاقتصادية في خدمة المصالح البريطانية .**س/ما هو موقف العراقيين من معاهدة عام ١٩٢٢م؟**

ج-حدثت معارضة شعبية واسعة طالبت بتحقيق استقلال البلاد وإلغاء الانتداب وتفجرت المظاهرات في عدد من المدن العراقية وبعث قادة الحركة الوطنية برقية إلى الملك طالبوا فيها :

١) رفض الانتداب رفضاً باتاً.
٢) سقاط الوزارة التي صادقت على المعاهدة.
٣) إطلاق حرية الصحافة.
٤) طرد المستشارين البريطانيين.

وتكونت الحركة الوطنية من حزبان هما حزب النهضة والحزب الوطني اللذان وحدا جهودهما في مقاومة المعاهدة والانتداب عن طريق الاجتماعات والمظاهرات وقدما مذكرة إلى الملك طالبا فيها بإنهاء التدخل البريطاني في الامور الداخلية وتأليف وزارة جديدة وتأليف المجلس التأسيسي فقام الحزبان بمظاهرات في ٢٣ آب ١٩٢٢م توجهت نحو البلاط الملكي تطالب بما يأتي: -

١. تأليف حكومة وطنية.

٢. سقوط الانتداب .

س/ما هو موقف بريطانيا من مظاهرات ١٩٢٢م؟

ج- تدخلت بريطانيا لضرب الحركة الوطنية والقضاء على الحياة الحزبية فاعتقل المندوب السامي البريطاني برسي كوكس، والمسؤولين عن تدبير المظاهرة وأمر بإغلاق حزبي النهضة والوطني وتعطيل جريدتهما الرافدين والمفيد واعتقال زعماء الحركة الوطنية ونفيهم خارج العراق .

تأسس المجلس التأسيسي في عام ١٩٢٤ برأسه عبد المحسن السعدون في عهد وزارة عبد الرحمن النقيب .لقد ازدادت المطالبة بتأليف الاحزاب السياسية بعد تتويج الملك فيصل، فاستجابت الحكومة وأصدرت قانون الجمعيات العراقي في ٢ تموز ١٩٢٢م الذي أجاز الاحزاب في العراق.

المـــــــصادر:

١-جاسم محمد حسن العدول واخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

٢-أبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦)، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

٣-إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التأريخ الحديث.

٤- مجيد خدوري، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق، الموصل، ١٩٩٣.

٥-محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤ – ١٩٥٨، بغداد، ٢٠٠٠.

٦. جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، ١٩١٤-١٩٦٨، ط١، دار مكتبة عدنان، ٢٠١٥.

٧. زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤، بغداد، ١٩٨٦.

٨. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤.

٩. عبد الكريم رافع: العرب والعثمانيون ١٥١٦- ١٩١٧.

١٠. أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث.

١١. محمد فريد بيك: تاريخ الدولة العلية العثمانية.